عامنا الثالث

✯

ايها القارىء العزيز ، بهذا العدد الذي بين يديك ، يدخل « الاديب » سنته الثالثة ، قد يكون هذا الخبر عاديا عندك ، تطالعك به جميع الصحف والمجلات في مطلع سنتها الجديدة ، غير ان هذا الخبر العادي بالنسبة الك يكاد يكون بالنسبة لي ولاسرة الاديب حدثا بل اعجوبة . أليست اعجوبة ان يثابر « الاديب » على الصدور في كل سنة ، وفي مطلع كل شهر ، وهو ، كما خبرته وكما تراه ، دائب على التجديد والتحسين والاتقان ، غير عابىء — ونحن كما تعلم — بشتى العراقيل المادية ، وغير المادية ، التي تكاد تقف حائلا بين الاديب وبينك ، في كل شهر .

لقد شاءت الظروف ان تقع وطأة هذه الحرب ، في هذا البلد ، على اكتاف الاديب فأخنى بجمله ، بينما اسعدت هذه الحرب سائر الناس ، هذه الحرب التي اشقته هو ، وجعلته يحسد بائع الكعك المتجول .

فاما ان تكون تاجراً فتربح وتثري ويحترمك الناس ، واما ان تكون ذا بضاعة رائجة ، لها حولها وطولها ، فيخشاك الناس .

اما ان تكون بعد ، من اصحاب العقائد الفكرية ، والمبادىء الروحية ، فتجارتك بائرة ، بين اهل المادة ، الذين يشكون ظلم المادة ، فيقبلون عليها اكثر فاكثر .

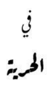
(. . . . مراقبة . . . . . .

. .) والادب مقبول عندك انت ايها القارىء ، لا عند سواك ، فانت وحدك تفهم القيم الروحية والفكرية التي تطالعك بها الاديب ، وانت وحدك تفهم ان سائر ما يجري حواليك زائل ، وان لا وجود لامة تفقد او تنحط فيها هذه القيم الروحية والفكرية .

فهذه القيم تخلق امة ، وهذه القيم وحدها تخلد امة .

فادهش معي ايها القارىء لهذه الاعجوبة ، فالاديب قد صدر ، وهو بين يديك ، انت وحدك تفهم سر الاعجوبة .

البير اديب



في الحرية

بقلم عمر فاخوري

قال احد علماء القانون المحدثين: «لم يعوز الانسان من الجهد لاثبات ان الارض تدور حول الشمس بقدر ما تكبده من العناء لاثبات انه كائن حر، اي ان له حقاً في الحرية». ولعمري ان شأن الحرية في هذا، شأن كل الحقوق التي لم تبق موضعاً لجدل او خلاف، نظرياً على الاقل، بعد ان كانت لزمن غير بعيد، تعد في الآراء الشاذة نظرياً، وفي المواد الخطرة عملياً. ان ما تعتبره اليوم بديهياً وضرورياً وطبيعياً ليس في الواقع، إلا ثمار دوحة لا يفتأ يرويها الانسان بعرق جبينه ودم قلبه او اسلاب حرب كثيرة العدد طويلة المدى: حروب في الشعب الواحد بين مختلف طبقاته، حيث تضطهد طبقة منه سائر الطبقات، اي تنكر عليها حقوقها وحرياتها، وتحرمها من ممارسة هذه الحقوق والحريات. وحروب بين شعب وشعب، في سبيل الاستقلال الوطني، اي الحرية القومية. ويظهر ان الحقوق والحريات، للافراد والجماعات، لن تزال في حاجة الى الاثبات: حسبنا عليه دليلاً هذه الحرب «التحريرية» العظمى التي تباهي بان من اعظم احداثها ميثاق الاطلنطي و«حرياته الاربع» فليس بكاف ان نقرر ان للانسان منفرداً ومجتمعاً، حقوقاً او حريات طبيعية لا يصح انكارها عليه، وحرمانه من ممارستها، بل المهم والعسير والمعجب هو ان تدخل تلك الحقوق والحريات نهائياً في العادات والشرائع، اي في حيز العمل. وليس تاريخ ما نسميه «المدنية» سوى مراحل الجهاد الانساني، المتردد البطيء تارة، والعنيف الدامي طوراً، لاحقاق ما يسمونه «الحقوق الطبيعية» في علاقات الافراد والامم، بعضها ببعض.

لا ريب في ان خير ما تعرف به «الحرية الشخصية» هو البند الرابع من «اعلان حقوق الانسان والمواطن» ولنضرب لذلك مثلاً: الحرية الشخصية الذي جاء فيه ما نصه: «الحرية هي ان تعمل كل ما لا يضر بالغير. فلا حدود لممارسة المرء حقوقه الطبيعية الا الحدود التي تضمن لسائر اعضاء المجتمع تمتعهم بنفس تلك الحقوق. وهذه الحدود لا يمكن ان تعين الا بقانون.

وليس ينطوي مبدأ الحرية الشخصية هذا على معناه الحصري فقط، وهو ان يغدو المرء ويروح حيث شاء، فيقيم في ارض الوطن او يهجرها متى اراد، بل ينطوي ايضاً وبنوع خاص، على ما كان يسميه القرن الثامن عشر الفرنسي: «السلامة» يعني بذلك: سلامة المرء من ان يحجز شخصه، او يحبس، او يصاب بأية عقوبة اخرى لا يصدر بها حكم قضائي. ولله ما اكثر ما يتقلب المجتمع الانساني في ادوار، ويعاني من محن، قبل اقرار ذلك المبدأ، نظرياً، وادخاله في الشرائع والعادات عملياً. ألم يكن اربعة اخماس البشر، بالامس لا يطلق عليهم القانون اسم «الاشخاص» بل يحسبون في الامتعة او «الاشياء»؟.

ان طريق الانسان نحو حريته لطويلة ملأى بالعثرات. لكن حيث توجد الارادة تنشق الطريق.

صورة الغلاف

لم نجد توجيهاً لهذا العدد، وحكمة لهذا الشهر، خيراً من رسم دولة رئيس الوزراء اللبناني رياض بك الصلح. ففيه كل ما تحويه حكمة الشهر من معان

تأمـلات

الجبل الحائر

★

مهداة الى صديقي الشيخ

عبدالله العلايلي

★

بقلم

الياس خليل زخريا

يقيم في الارض فوق القناطر اللازوردية الشفافة، على مناشر الفكر، ومشارف السماء.

ويجري يهمس الاساطير والاشرعة... وصحراء تهمر الاجنحة والاطيـاف ..

وواحات هنّ واحات الجنة...

وزمن فتي يتلفت من وراء القدم بحواجب الشمس المتيقظة التي لا تجف، ولا تذبل.

وآلهة مخمّرة منذ الازل تتنفس في التراب تنفس الصباح.

وحكاية هي اول حكاية حبكها الظن، بخيوط البال على شفاه الحروف.

جبل، واي جبل ركّز في الارض ركزته... تراب واي تراب دلك بالفكر دلكته... حجر، واي حجر خمر في الربيع خمرته...

هو اول نار في اول انبيق خمر.

وكانت النار انامل الآلهة يوم كانت الظلمة مضجع الارض.

كم من آله تمرغ هنا، تحت قدمي، في مغاور الاكمة، ومزالق السفوح، ثم اشتعل، فذاب دفئاً وعبقاً.

هذا الجبل يكاد يكون ركاماً من رفات الآلهـة... ومقابر الآلهة مقدسة كالآلهة... والمأسدة، جلال، وان غابت عنها الاسُد.

ونحن العرب عبدنا القبور لانها وحدها اقواس الفكر الى اعماق الحياة، فاي خاطر، مجنح نزل الابعاد من غير مضيق القبر.

ايها الجبل.

ايها الجبل الاخصاب.

يا قبر الآلهة التي لا تغيب. يا منبت اللون الذي لا يشحب.

انت حبة البذار نقدتها الديكة في السحر من سنابل الشمس العالية.

انت جبل انبت شجرة وشجرة انبتت جبلاً.

اي اصول في الارض كاصولك؟ اي شجرة في الغاب كشجرتك؟ أزل اخضر في قمة بيضاء ازلية... صـلاة سرمدية في شفاه غصون سرمدية. غصون خضراء لا تيبس على ساق قديمة لا تتحرك كأنها عمود قبة السماء.

يا لعظمة المعول الذي زرع، والزارع الذي تجبر فتأله، وهذا النبت، الذي اورق، واخضر، فأثمر بالدهور.

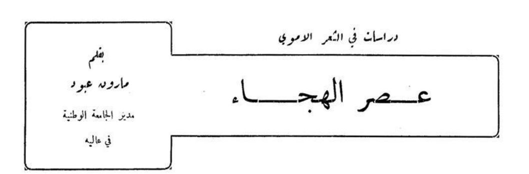
قلت للنخيل المتشوف من احقاف الصحراء الى مطلّ الارز.

انفض عنك غبارك المتجمد. واقطع سعفك اليابس. وكبر باسم الحق من شرفتك الخضراء المتلألئة، وارسل اذان المحبة، الى هوادج القوافل الحالمة.

ما اثقل الغبار على الورق الاخضر. ما اكره العناكب على رؤوس الشجر المنتفض.

لتكن اغصانك اعاصير، واعاصيرك مطراً، ومطرك غيثاً، وغيثـك، نعمة، وخصباً، وخلقاً. يومئذ يرقّ الفيء، ويطيب السفر، ويصفق فم الميزاب، فيسقط الديجور عن صواري الجزيرة العظيمة، وتكون الصحراء جبلاً، والجبل صحراء.

ايها النخيل الاخضر، نحن هنا في جبلنا العربي، الشامخ المتمرد، نتشوف الى الغد بقلوب الاخوة..



هو العصر الاموي ، واذا تحدثنا عن العصر الاموي فما نعني غير ذلك الثالوث الانجس . لقد مزق هؤلاء الاعراض ونبشوا القبور ، وصلبوا الموتى واكلو لحوم اخوانهم احياء وامواتاً . واذا حدثناكم عن هؤلاء الشعراء فكأننا نتحدث اليكم عن شعراء الجاهلية ، فالطور الذي اوحى الى الجاهلي هو الذي استوحاه الاموي واستلهمه العباسي . سدوا جميعاً نوافذهم لئلا يبصروا العالم الخارجي ، وقد قال اعمقهم ثقافة واثقبهم عقلا اي الجاحظ : وفضيلة الشعر مقصورة على العرب وعلى من تكلم بلسان العرب .

لا نلوم شعراءنا الاولين ان خاضوا بحر التقليد خوضاً فهم اطفال بالقياس الينا ، والطفل اشد تقليداً من البالغ ، وانسان القبيلة والجماعات يدور على نفسه في حلقة محكمة بخلاف المفكر الوحيد الذي يرى الناس من عل ويحكم عليهم . ناهيك ان التقليد ناموس طبيعي يسيرنا في كل زمان ، وقد قال احد دارسي الادب الغربي اذ بحث التقليد في شعر امته : نستطيع ان نضع خلف كل شاعر جديد شاعراً قديماً . لم يفت ذلك اسلافنا فقال ابو عمرو ابن العلاء الاخطل كالنابغة ، والفرزدق كزهير ، وجرير كالاعشى . اصاب ابن العلاء بؤرة الهدف اذ شبه الاخطل بالنابغة فكأنهما واحد ، اما جرير والاعشى فيجتمعان في الرنة الشعرية ويختلفان في تماسك الديباجة فليس في شعر صناجة العرب هلهلة شعر ابي حزرة ، وقد طاش سهمه في تشبيه الفرزدق بالنابغة . والذي يبدو لي هو ان خيال هؤلاء ، ما خلا الاخطل ، اضعف من خيال شعراء الجاهلية ، فالفرزدق خاصة ينقصه الخيال والعاطفة وهما ملاك الشعر وقوامه .

الاخطل كحليفه الفرزدق حامض الوجه وكلاهما جافان ، يبتسم احياناً نصف ابتسامة وله نزوات محبوبة حين يحدثنا عن الاحمرين . وله وثبات في النضال تدل على ان هناك نفساً طربة ، ولكن خمرة ابي نسطوس يبستها فصارت كتلك الافاعي المنقوعة في الكحول تبدو لامعة ولا حياة فيها .

لست اميز هؤلاء الشيوخ من مشايخ الجاهلية ، فالجاهليون يؤلهون المادة ولا يهمهم ما وراء القبر :

فذرني اروي هامتي في حياتها ستعلم ان متنا صدى اينا الصدى

وهؤلاء مؤمنون ولكن اي ايمان ? فمسيحية الاخطل مسيحية شمطاء ناصلة . السكيرون والزناة لا يدخلون ملكوت الله والاخطل كان لا يصحو ولا يفيق . اسمعه يتهدد زوجته :

أعاذل ان لم ترجعي عن ملامتي ادعك وارجع للتي كنت افعل
واهجرك هجراناً جميلاً وينتحي لنا من ليالينا العوارم اول

ويا ليته اكتفى بهجرها هجراً جميلا ولكنه طلقها الثلاث طلاقاً قبيحاً . اما الفرزدق فاقوال الرواة وابن عمه تسفهه ، هو قرد غير نائم ، يرقى الى جاراته بالسلالم ، ويتدلى من ثمانين قامة ليزني ويقصر عن باع العلى والمكارم . اما جرير فبذيء اللسان كشاف عورات ، واني حين ارى الجيف الطافية على بجور شعره احار اين اطلب العفة التي وصفوه بها . فالجاهليون وهؤلاء متساوون في التدين والاخلاق ، لا بل ارى زهيرا الجاهلي افضل من ذاك النصراني .

اما الخلافة وهي اقوى الروابط الاسلامية فما قربت الشاعرين المسلمين من الامام فكان شاعره نصرانياً . مدحه جرير مستميحاً وادل به على تغلب شعرياً فقط حين قال :

هـذا ابن عمي في دمشق خليفة لو شئت ساقكم الي قطينا

ولكن ابن مروان لا يصغي الى ثرثرته فهو يسامر الاخطل تاركا الفرزدق يتغنى بنار غالب . ان حمية الجاهلية التي اخمد الاسلام نارها قد دب لها هؤلاء بالحطب فكانت جهنم ارضية وقودها الناس واعراضهم . عصر بلغت به العصبية منتهاها فصار

ذو الصليب شاعر الخليفة · فهب ان الاخطل كان كما قال لسائله أشعر الناس قبيلة بنو قيس ، واشعر الناس بيتاً بيت ابي سلمى ، واشعر الناس رجلًا رجل في قميصي » ثم كان وقومه في غير حلف عبدالملك اكانت تطأ رجلاه بساطه ؟

اذا فتشنا عن اثر ديني في شعر الاخطل فلا نقع الا على هذا البيت :

لما زأونا والصليب طالعًا · ومار سرجيس وسما ناقعًا

ولكننا نجد الى جانب هذا الابن الوحيد جاهلية عارمة كالتي تهدد بها زوجته ، واليك بعض ما قال :

اني حلفت برب الراقصات وما · اضحى بمكة من حجب واستار
وبالهدي اذا احمرت مدارعها · وما بيثرب من عون وابكار

وقد رووا انه كان يحلف باللات والعزى · صدق الله العظيم : قالت الاعراب آمنّا ، قل لم تؤمنوا ، ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم · وكيف يؤمنون وفي قلوبهم الحمية حمية الجاهلية وهي التي انطقتهم بهذا الهجو القذر · ان شعارهم جميعاً كما قال طرفة : ولولا ثلاث هن من لذة الفتى · · · اى الشرب والحب والحرب · لا يهم الاخطل الا دواء يرد الشيب ليرجع شرخاً ويملأ بطنه من خمور قطار فلسطين ويأكل صفيف الشواء والقدير المرعبل ويتمتع بما يلي ذلك · اما جرير والفرزدق فلم يحسبا للملكين حساباً فقال جرير لصاحبه : ولو متنا لشد عليك قبري ·

عاشوا جميعاً ليأكلوا ويشربوا فخلا شعرهم من الصوفية والنسمات الروحية التي تنعش الشعر وتحييه ، ومن المحبة التي ترققه ، فشعرهم ثلاثتهم مادي لا يستطاب ولا يبقى ، وما قول الاخطل :

واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد · ذخرا يكون كصالح الاعمال

الا كقول الدهري خالق الله السموات والارض لان توبة صاحبنا مريضة بدليل قوله :

ولقد اكون لهن صاحب لذة · حتى تغير حالهن وحالي
لما رأت بدل الشباب بكت له · والشيب ارذل هذه الابدال

لم يفكر هؤلاء بغير صيغ والفاظ وصور متشابهة فجاء شعرهم متشابهاً متماثلا تغنيك مطالعة احدهم عنهم جميعاً · ساروا وراء من تقدموهم ولم يفكروا بتغيير شيء من اساليب حياتهم فظل الشعر بدوياً خشناً لم يتأثر بشيء من لين القرآن وحنانه · جفاف ويبوسة كطباع الفرزدق والاخطل ، فهذان الشاعران لم ينزلا عن عرش اوستقراطية لغة الشعراء بل غرقا في لجج الخشونة والغرابة وخصوصاً الفرزدق · ولا تعجب اذا قلنا ان الاخطل اصح لغة واسلوباً من الجاهليين فهو صديق عبدالملك الخليفة النقادة · وعبد الملك وعامله الحجاج لم يلحنا قط لا في جد ولا في هزل ·

اما جرير فقد لان شعره واننا نسميه بحق شاعر عصره الشعبي·

ان هذا ايضاً لم يفت القدماء فقد سأل جرير رجلا من بني طهية : اينا اشعر انا ام الفرزدق ، فقال له : انت عند العامة والفرزدق عند العلماء ، فصاح جرير : انا ابو حرزة ، غلبته ، ورب الكعبة · والله ما في كل مائة رجل عالم واحد ·

اما الاخطل والفرزدق فما عبرا تعبيراً شعبياً بل فتشا بالفتيلة والسراج على الصيغ الجاهلية وحشروها في منظومهم · ان الشعب لا يتذوق الا ما الفه من تعابير فصيغه المألوفة تؤدي له المعنى كاملا غير منقوص ، ولهذا استطاب شعر جرير واستساغه ورواه ولم يطرب لشعر الاخطلين ولم يروه ·

واذا سمينا هذا العصر عصر الهجاء فما نعدو الحق لان الهجاء سيطر فيه على جميع اغراض الشعر حتى الرثاء · لم يحفزهم الى ذلك غير الاحداث السياسية وانشقاق العرب حول الخلافة · ما افتخر الفرزدق ليتعالى على جرير وحده ، بل ليتعالى من حيث لا يشعر على الجالسين على السرير فيذكرهم بمجد ابائه واجداده · ان السياسة في ذلك العصر هي التي اركبت الشعر ذلك المركب الوعر فطبعته بطابع الهجاء ، وكثيراً ما تطور السياسة اساليب التفكير · كان الشاعر في عصره وزير دعوة ونشر ، فلا نعجب ان رأينا السلطة لا يسكت هؤلاء الثلاثة ، فالتيار قد جرف الخلفاء انفسهم فاداروا دفة السفينة وهم لا يعلمون انهم زبانيتها ·

لقد ابعد التناطح الشعري هؤلاء الفحول الثلاثة عن منطق الفن ، وحسبك ان تقرأ مناظرة جرير والفرزدق عند بشر بن مروان لترى مقدار حظ شعرهم منه · انها لاشبه بمناظرة قوالي الزجل والعتابا عندنا · لا شك انهما في شعرهما الاخر اكثر فناً منهما في هذا البراز الشعري ، ولكنهم اسفوا في كل حال فابتعدوا عن الشعر اذ جعلوا اغراض شعرهم اعراض قبائلهم · حسبنا لامية الفرزدق شاهداً على ما نزعم ففيها جيش عرمرم من الاعلام لم تقذف بمثله روسيا الحمراء ، وهكذا استحال الشعر الهجائي المعروف بالنقائض فهرساً شاملًا لمثالب العرب ويا ليته لم يكن ·

حلو الكلام ومره لجرير

قوام شخصية جرير شرة وحميــة . يستفزه الغضب فيشرئب يتهيأ للنطاح والمساورة ذياداً عن حياض شعره . يستجيب لكل عوة ويصول يمين وشمال وخلف وقدام وفوق وتحت . ينبش القبور لا زياد يدفنه فيها حياً . مثال اعرابي اصيل ، من طبعـه الهرج المرج ، تدلنا على خواصه جميعها كلمة الحجاج قاتله الله اعرابياً ، نـه لجرو هراش . وهل هجاء هؤلاء الفحول ثلاثتهم غـير رارة ونبوح .

واذا قرأنا تلك الاسطورة التي رواها ابو الفرج عن ابي عبيدة نضحت لنا شكاسة خلق جرير . قال : رأت ام جرير وهي حامل ه كانها ولدت حبلاً من شعر اسود فلما سقط منها جعل ينزو فيقع ، عنق هذا فيخنقه حتى فعل ذلك برجال كثيرة ، فانتبهت مذعورة اولت الرؤيا فقيل لها : تلدين غلاماً شاعراً ذا شر وشدة شكيمة ، بلاء على الناس فلما ولدته سمته جريراً باسم الحبل الذي رأت انه رج منها . قال : والجرير الحبل لا يعنينا اكاذبة هذه الرواية م صادقة ما دامت تنم عن طبع جرير الذي اخرج من رأسه ذلك كلام الحلو المر .

وفي حكاية جرير مع راعي الابل وابنه جندل دليل آخر على رة جرير وحميته . قالوا انه لم ينم ليـلة طرحت قلنسوته تلك طرحة المشؤومة . شرب باطية نبيذ وحبا على فراشه عرياناً لمـا و فيه . وما زال كذلك حتى كان السحر فكبر ثم قال : اخزيته رب الكعبة . تلك حكايتهم حول قصيدته المسماة « الدامغة » ي قالها ثمانين بيتاً في هجو بني نمير ، وهي تثبت انـا ان الحمية — هيجان في علم النفس — هي منبع الشعر الجريري ، فهو اذا اهتاج صبح كالبركان يقذف الحمم ولا يدرك ما يقول ، فيزج في شعره لفاظاً وصوراً لا يتلفظ بها الرعاع ، وحسبك تصوره عنفقة الفرزدق ين شاب . . . ان غضب جرير واستقتاله في الدفاع عن شعره ذكرني بشعر هيغو الهجائي ، فكلاهما واحد يجري لغاية واحدة ، هذا المضمار . حدة تشبه ثورة المجانين في رؤوس الاهـلة ، ولا رق بينهما الا ان لشاعر الغرب خيالا عظيما جداً ، وشاعرنا بعيد عن لخيال ، هذاك يفكر بالصور التي يخلقها ، وشاعرنا يعدد المثالب يعير فيكشف العوارت ويمزق الاعراض .

ان شعر جرير بخلاف شعر صاحبيه . شعر خفيف تغلب فيه لباقة التعبير على قوة التفكير . قريحة لدنة لينة يثيرها اقل تهويش ولا مانع ان نضم الى السجعات الاربع المشهورة سجعة خامسة فنقول : وجرير اذا غضب . لم يحاول السمو الى لغة الشعراء المتقدمين فدار شعره على كل لسان . ادرك ذلك الاخطل فقال . قلت انا بيتاً ما اعلم ان احداً قال اهجى منه .

قوم اذا استنبح الضيفان كلبهم   قالوا لامهم بولي على النار

فلم يروه الا حكماء الشعر . وقال هو :

والتغلبي اذا تنحنح للقرى   حك استه وتمثل الامثالا

فلم تبق سقاة ولا امثالها الا رووه . والسبب عندي هو ان الاخطل تعمل وتخيل — وهو اقواهم خيالا — فاخرج صورة غير مألوفة فركد بيته وجاء كحمى الدق اما بيت جرير فيشبه البرداء التي تنفض الاجسام نفضاً فهبت ريحه وركد بيت خصمه .

في شعر جرير نشاط ومرح فهو اشبه بجنب المسوّمة العراب بينما شعر الاخطل يمشي ويهدر كالجمل الازرق ، وخطى متزنة رصينة ترضي اهل السمت ، اما جرير فاتبع في الهجاء خطة بوالو استاذ الشعر الفرنجي فجاء شعره كما قال : تأتي كلماتي بلا عناء لتحل محلها . اما في صوره فلا يتعكز على علم البلاغة . انظر الى بيته الذي مرّ وقف عنده قليلاً . ليتك رسام او مثال اتخرج لنا لوحة رائعة او تمثالا لتغلبي جرير . اليس في هذا التخيل البسيط المركب صورة تضحك وتطرب معاً . ان جريراً يحسن الهزل والتهكم والسخر فتستحلي هزله وسخره وتهكمه وان كان مبنياً على جرف هار .

ان ضربة جرير خاطفة كانها سيف طرفة ، وهي غالباً كمبضع النطاسي . كان اقدر صاحبيه على نقض الكلام . ولو كان ابوحزرة من علماء الكلام لاتى ببراهين ذات حدين . خاطب الفرزدق ناقته اجمل خطاب وخلص الى ممدوحه بلباقة ، وسأله بكياسة انستنا سماجته اذا تحدث عن زوجته ذلك الحديث الثقيل ليخلص الى ابن ليلى — عمر بن عبد العزيز — قال الفرزدق يخاطب ناقته :

الام تلفتين وانت تحتي   وخير الناس كلهم امامي
متى تردي الرصافة تستريحي   من التهجير والدبر الدوامي

فانتفض جرير انتفاض الصقر فاذا بتلك الصورة تنهار لدى قوله :

تلفت انها تحت ابن قين   حليف الكير والفاس الكهام
متى ترد الرصافة تخز فيها   كخزيك في المواسم كل عام

هذا هو الكلام الحلو والمر الذي لم يخرج مثله الا راس ابي نواس، ولكن كلام ابي هاني. اكثر فناً واقل ايلاماً واشداضحا كا.

ليس لجرير خيال الاخطل ولا ثروة الفرزدق اللغوية. واست اجد تحديداً اجمع لشعر جرير اصدق من قول الجاحظ لصاحبه المربع المدور: يجب المبنى حياً يلوح وظاهراً يصيح. ان هذه الخاصة ابرز ما تكون في هجائه، اما غزله الذي قال فيه الفرزدق: ولو تركوه لابكى العجوز على صباها، فلست ارى فيه مارأوا وليس ابداعه الاسمى هناك. لا شك ان هناك نوعاً من الغزل بهياً ولكن جريراً لم يفق سواه فيه بل بذ اقرانه بتلك السهولة وذاك الظرف الذي لا يدعه في ارصن الساعات اي حين يمدح الخلفاء.

لا يموت جرير في سبيل اللحم ولايتحرق تحرق الاخطل ويخرج صوراً جافية مثل هذه:

اعرضن لما حني قومي موترها وابيض بعد سواد اللمة الشعر

ان هذه الخشونة تقلب الاعراض فزعاً فيهربن منه وهو لو كان الين وارق لا ارعوين لحاجته ورأى ان عندهن لذي الشيبة بعض الوطر. اما جرير فاجمل منه مخاطبة لهن فينادي صاحبته:

يا ام عمرو جزاك الله مكرمة ردي علي فؤادي مثلما كانا

فلا شك انها تقف وتمشي بتلك الهوينا مصغية الى تلك الموسيقى كما انها تنفر نفور البقرة الجافلة حين تسمع الاخطل يندب وينوح:

بانت سعادة ففي العينين تسهيد واستحقبت لبه فالقلب محمود

انها تنفر وتمضي بتلك الحقيبة ولا ترد عليه.. عجباً لغياث الم يجد مستودعاً لقلبه انعم من ذاك الخرج ؟ قد عرف فعل الكلام فقال: والقول ينفذ ما لا تنفذ الابر، افما علم ايضاً انه يلين القلوب القاسية. انه الطبع فكلام صاحبنا على بلاغته وصحته ومتانته خشن كعباء الموصل.

لا نظلم جريراً اذا قلنا ان شعره الهجائي هرير وعواء. ولكن في هذا الهرير والعواء ايقاعاً يستلذه السمع والذوق فتنسى بذاءاته. اما ماذا وبماذا يهجو فاعداء جرير كاعداء هيغو ايضاً. عبيـد وتيوس وخنازير وكلاب وعقيدهم الفرزدق قريـد أصلع وقيون ماعونه علاب وكير وعلاة وقدوم ومبرد وكلبتان وعدل من الحمم الاسود وكذلك اباؤهم وامهاتهم جميعاً.

فرقّع لجدك اكياره واصلح متاعك لا تفسد

واذا طفح الكيل زج في شعره هنات واشياء يستهجنها احب الناس للاحماض. فكل ما هجا به الاخطل والفرزدق ينحصر في بضع كلمات ولكن براعة سردها تنسيك قبح تكرارها فلاتحتج ولا تعترض.

كان لجرير مرتع خصيب في تلك الفرزدقة وهو ادرى الناس بفحص الدمن وتحليلها واكتشاف مضامينها ووصف ما بها من غرائب وعجائب، كما ان دين صاحبه الاخر اوحى اليه كلاماً مستطابا.

قال الاخيطل اذ رأى راياتهم يا مار سرجس لا اريد قتالا

فهذا الكلام على بساطته استهوى الناس في الامس ويستهوينا اليوم فنقول مع الفرزدق: قاتله الله! فما اخشن ناحيته، واشرد قافيته.

اجل هو شاعر طلي محبوب، ذو قريحة فياضة، حاضر البديهة لرد الجواب، يعينه على ترسيخ كلامه في الاذهان اسلوب رائق. ان شرة جرير لا تنطفي. لا رحمة عنـده ولا غفران. يضرب بالم وحقد وضغن فلاهوادة ولا هدنة.

ولو متنا لشد عليك قبري بمسموم مضاربه حسام

اما كلمتي المجملة في هؤلاء الثلاثة فهي ان الاخطل اوفرهم فناً واسماهم خيالا، وجريراً اشدهم فتنة واقلهم صنعاً المنتوجات البيانية فكلامه طوعي اختياري لا فن فيه، والفرزدق لا فتنة ولا فن الا متى وصف نار غالب وقدور دارم وصفوف المعتفين حولها في السنة الحمراء.

مارون عبود ـ عاليه

☆

التحالف العربي

بقلم امين محمد ابو عز الدين

قد يتميز النصف الاول من القرن العشرين بمظاهر مادية ومظاهر اجتماعية تكون بمثابة اعلام يهتدي بها من يروم تتبع تاريخ البشر في السنين الخمسين الاولى من هـذا القرن او مراجعة اهم حوادثه وتطوراتها . فلنا مثلاً ، من المظاهر المادية شيوع استعمال الكهرباء والطيران واللاسلكي . ومن المظاهر الاجتماعية قيـام النظام الاشتراكي في روسيا والنظام الفاشيستي في ايطاليا والمانيا وهذه الحرب العالمية التي نحن فيها اليوم .

وستتعدد في المستقبل هذه المظاهر ولكن مهما يبلغ عددها فسيكون من اظهرها نشوء هذا الروح الجديد بين الاقطار العربية وشعور ابنائها بقرابة وصـلة دم تصلهم بعضهم ببعض وميل جلي بينهم الى التعارف واتفاق هذه الاقطار كافة على التعاون والتضامن اللذين كان من ابرز نتائجها الاخيرة ما شاهده العالم اثناء ازمـة لبنان السياسية في شهر تشرين الثاني الماضي من اجمـاع البلدان العربية على تأييد وجهة نظر لبنان ووقوفها بجانبه مما كان له اعظم الاثر في نفوس المواطنين والاجانب وفي حل تلك الازمة الخطيرة على وجه حفظ كرامة اللبنانيين وعزز استقلالهم باعادة حكومتهم الدستورية .

ولا يحتاج الباحث الى الامعـان في التنقيب والتحري ، للاحاطة باسباب هذا الشعور فهي بادية في وحـدة اللغة وتشابه العادات والتقاليد وطبيعة الارض والاقليم وما قام بين هذه الاقطار من مصالح حيوية وعلاقات اقتصادية وثيقة ، يضاف الى ذلـك تساوي العرب على اختـلاف شعوبهم ومنازلهم في ما ذاقوا من المصائب وما توالى عليهم من البـلايا في عصور الظلمة والانحطاط حتى صاروا بعد عزهم الغابر ومجدهم التالد وكثرة عددهم ومزايا بلدانهم وما حباهم الباري من ذكاء وقوة وجمـال لا يحسب لهم حساب الا من حيث انهم وسائل يتوسل بهـا سواهم للاثراء والاستثمار . وليت الامر وقف عند هـذا الحد فقد جاوزه الى الاستئثار بمصير هذه الاقوام والتحكم فيها واخضاعها لمشيئة سواها وهي منشأ الاديان والحكمة وكرم النفس ومنهـا انبعثت انوار هـذه الحضارة فشقت ظلمات الجهل في بلدان المدافع والمصفحات والطائرات الهدامة .

نشوء الدعوة الى تحالف عربي

اما الدعوة الى تحالف عربي فليست بجديدة وقـد قامت في الاصل لدرء استبداد العثمانيين الحاكمين بالعرب المحكومين فقابلها العثمانيون بسياسة « التتريك » التي ابتدعها غلاة الاتحاديين منهم ولكن امرها لم يطل لان عهد ذلك الحزب (حزب جمعية الاتحاد والترقي) كان قصير الزمان برعونة انور باشا واضرابه واندفاعهم بالسلطنة العثمانية الى البوار .

وقد جاهد ابناء الاقطار العربية متحالفين متضامنين وعمـلوا في بلادهم وفي العواصم الاوروبية من اجل استقلالهم وتحريرهم من النير التركي فساق الاتحاديون عدداً منهم الى المشانق وضحوا بدماء ابنائهم في ساحات الجهاد وحاربوا بجانب الحلفاء في الحرب العالمية الماضية سعياً وراء تحقيق امانيهم الوطنية .

ولما وضعت تلك الحرب اوزارها واعـترف الترك باستقلال البلدان العربية بعد تخليهم عنها اخذ العرب يواجهون قوى جديدة جلها اقوى من الدولة العثمانية التي انفصلوا عنهـا . فتجدد النضال ولكن بقوة تجاوز القوة الماضية ، لان هذه الشعوب العربيـة استفادت من حوادث الحرب ونتائجها علماً وخبرة وامتـد بصرها الى افق ما كان يتجلى لهـا في العهد العثماني . وفي السنوات الاولى التي تلت الحرب العالمية الماضية توالت الاضطرابات في مصر الى ان نالت تلك البلاد حريتها وسيادتها ثم قامت ثورات العراق الاستقلالية

وكذلك ثورة الدروز السورية سنة ١٩٢٥ .

وبعد ان توطدت اركان الاستقلال في مصر والعراق والبلاد السعودية وما تبع ذلك من وعي قومي وطلب الحرية في باقي الاقطار انتشر روح التضامن بين هذه البلدان وشعرت بحاجتها الى التحالف او التعاون فيما بينها . ومنذ اول الحرب الحالية تجددت المساعي من اجل تحالف عربي وجرت مشاورات خصوصية في بادىء الامر بين عدد من رجالات العرب الذين امّوا مصر من كافة الاقطار العربية تقريباً .

موقف دول الحلفاء من التحالف العربي وتصريحات وزير الخارجية البريطانية

وقد شعرت دول الحلفاء برغائب العرب والهدف السامي الذي يودون تحقيقه كما ان هذه الدول ادركت الفائدة من مشروع تحالف عربي يعيد الى العرب ثقتهم الاولى بتلك الدول فضلا عن مساعدته في ضمان سلم عالمي بعد الحرب الى امد بعيد ونجاح ما يفكرون به اليوم من نظام اقتصادي دولي يطبق في المستقبل وتشترك فيه شعوب الارض كافة .

وقد ادلى المستر انطوني ايدن وزير خارجية بريطانيا العظمى في دار بلدية لندن بتاريخ ٢٩ اذار (مارس) سنة ١٩٤١ بالتصريح التالي : —

« ان كثيرين من مفكري العرب يرغبون في ان تتمتع الشعوب العربية بنصيب من الوحدة اكبر من النصيب الذي تتمتع به الان وهم يأملون منا المعاضدة في بلوغ هذه الوحدة . ولا يجوز ان نغفل اي نداء يوجهه الينا أصدقاؤنا بهذا الصدد . ويبدو ان من الطبيعي ومن الحق ان تتوثق الروابط الثقافية والاقتصادية ، والروابط السياسية ايضاً بين الاقطار العربية . وستعاضد حكومة جلالته معاضدة تامة اي مشروع ينال الموافقة العامة . »

وفي ٢٤ شباط (فبراير) سنة ١٩٤٣ عاد الوزير البريطاني نفسه فادلى بتصريح آخر بشأن الوحدة العربيـة في مجلس العموم البريطاني ، فقال :

« ان حكومته تنظر بعين العطف الى كل حركة بين العرب لتعزيز وحدتهم الاقتصادية والثقافية او السياسية ، لكن من الجلي ان الخطوة الاولى لتحقيق هذا المشروع يجب ان تكون من العرب انفسهم . والذي اعرفه انه لم يوضع الى الان المشروع الذي سينال الموافقة العامة » .

يلاحظ القارىء ثلاثة امور ظاهرة في هذين التصريحين الخطيرين اولها ، ان حكومة بريطانيا العظمى تنتظر ان يوضع مشروع يرمي الى توسيع مدى الاتحاد بين الاقطار العربية . ثانياً ، ستعاضد الحكومة البريطانية معاضدة تامة اي مشروع من هذا النوع ينال الموافقة العامة في مختلف الاقطار العربية . ثالثاً ، ان وضع مشروع الوحدة هذا يقع على عاتق العرب انفسهم . وهذا الامر الاخير امر طبيعي لا غرابة فيه اذ ينبغي ان يكون الدافع الى الوحـدة من الداخل لا من الخارج ، اي من العرب انفسهم . او كما قال الاستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام : « وجـدير بالعرب ان يفكروا ثم يقضوا لانفسهم ، ويلقوا العالم برأي موحد وخطة بينة ، ويقولوا هذه مطالبنا ، فالصديق الحق من اعاننا عليها ، والعدو من صدنا عنها ، ولسنا نبالي بقول لا يزكيه فعل » .

مصر تقود العمل للوحدة

كانت اولى ثمرات موقف مصر الايجابي نحو مشروع التحالف العربي ان سجل رئيس حكومتها رفعة مصطفى النحاس باشا بيانه الشهير في مجلس الشيوخ في ٣١ اذار (مارس) سنة ١٩٤٣ وقـد اعرب في بيانه هذا عن شروعه في الاهتمام بهـذا الموضوع وانه سيوجه الدعوة الى مختلف الحكومات العربيـة للوقوف على وجهة نظر كل منها من اجل التوفيق واتمام التفاهم بينها على ان يعقد بعد ذلك مؤتمر عام من ممثلي الحكومات العربية في القاهرة برياسة رئيس الحكومة المصرية لاكمال بحث هذا الموضوع واتخـاذ القرارات المحققة للاغراض والاماني التي تنشدها كل من هـذه الحكومات وشعوبها .

وقبل ان ينتهي رفعة النحاس باشا من بيانه هذا اشار الى انه قد وجّه الدعوة الى فخامة نوري باشـا السعيد رئيس الحكومة العراقية وصاحب المساعي والجهود المذكورة من اجل استقـلال العرب وتحالفهم . وقال ايضاً انه سيوجه مثل هذه الدعوة لبـاقي الحكومات العربية .

وقد حضر فخامة نوري باشا السعيد الى مصر في اواخر تموز الماضي (يوليو) وكانت محادثاته مع رفعة النحاس باشا فاتحة للمشاورات الخاصة بالوحدة العربية ثم جاء بعده على التوالي مندوبو حكومات شرق الاردن وجلالة الملك عبد العزيز آل سعود والجمهورية السورية

كما ورد على النحاس باشا رسالة من الامام يحيى عاهل اليمن بشأن هذه المحادثات وكان يصدر في كل مرة عدد من البلاغات عن المشاورات التي تجري مع ممثلي هذه الدول ويمكن اجمال مضمونها في القول ان الاتفاق كان تاماً على جميع النقاط الاولية وان هذه المشاورات سوف يكون لها اثرها القريب في تحقيق اماني العرب.

وقريباً سيتوجه وفد يمثل الجمهورية اللبنانية في مشاورات الوحدة العربية وقد تأخر سفره حتى الآن بسبب حدوث الازمة اللبنانية الاخيرة. اما في فلسطين فقد جرت مفاوضات بين زعمائها العرب لانتخاب وفد يمثلهم في هذه المشاورات وقد سافر في شهر تشرين الاول (اكتوبر) الماضي قنصل مصر في القدس الى القاهرة ليبحث مع حكومته موقف فلسطين وما ينبغي اتخاذه من تدابير في هذا الشأن.

تفاصيل المحادثات والاسس التي يدور حولها البحث

ليس باستطاعتنا ان نجزم بصحة كل ما يقال عن النقاط التي تناولتها محادثات الوحدة العربية ولا يمكننا ان نقدم الان حقائق ثابتة عن اسس التحالف العربي لان هذه المحادثات لم تتم بعد وستبقى في طي الكتمان الى ان ينتهي التشاور مع كافة البلدان العربية والتعرف الى وجهة نظر كل منها واتمام التفاهم بينها. الا انه يمكن القول ان بعض الناس يخطئون في تفسيرهم تفسيراً سياسياً لكلمات اتحاد او تحالف او وحدة كما ان نتيجة فهمهم لما يفسروها كثيراً ما تقودهم الى الحدس والتخمين. والواقع ان اي كلمة من هذه الكلمات لم توضع في الاصل باللغة العربية لتكون اصطلاحاً علمياً ليستعمل في العلوم السياسية الحديثة Sciences Politiques لكي يعبر تعبيراً فنياً او ليشير الى نظام معين او شكل ما من اشكال الدولة وانواعها المختلفة ولهذا فلا يصح ان نعتبر هذه الكلمات كاصطلاحات علمية لها معناها المحدد والمعروف في علم السياسة وهي اقرب الى انها نعوت وصفوا فيها قبل الاوان الكيفية او الطريقة التي يرغب زعماء العرب في اتباعها لجمع كلمة البلدان العربية وايجاد تضامن وتفاهم عام بينهم. وتحسن الاشارة هنا الى ان رفعة مصطفى النحاس باشا عبّر اخيراً عن هذا المشروع بالتعاون العربي وهذا اقرب الى الواقع او هو حقيقة الامر.

وقد يظن ايضاً لاول وهلة ان هذه الرغبة في كلمة العرب مقتصرة على طلب الوحدة السياسية فنقول ان هذا يكفي وحده لاحباط المسعى لان في الاقطار العربية المستقلة ملوكا وحكومات يعز عليها ان تتنازل عن عروشها وسيادتها الخارجية والداخلية لتسلمها الى سلطة مركزية عليا – سلطة الوحدة –. والواقع ان طلب الوحدة لا يقتصر على هذه الغاية بل يشمل في الدرجة الاولى غايات اخرى اقتصادية ودفاعية وثقافية. وهذا باب متسع يدل على الاحتمالات فيه ما هو مشهود من هذا القبيل بين بلدان الدومنيون الانكليزية وما يتحدثون عنه في هذه الايام من نظم عالمية تكفل سلام العالم ورخاءه الى زمن طويل بعد انتهاء هذه الحرب.

اصبن محمد ابو عز الدين — العبادية



ما يفعل العلماء اليوم

بقلم ولدمار كمبفرت

تعريب

امين الغريب

في الازمنة العادية يجتمع كل سنة ربع مليون من اكابر علماء الدنيا في مؤتمرات مختلفة الزمان والمكان ليطلعوا بعضهم بعضاً على ما جدّ امامهم من المعلومات وظهر من الخفايا. هؤلاء الرجال والنساء لا يحفلون بمـا بينهم من فوارق وطنية او سياسية او دينية او عنصرية. بل يتبادلون العلوم والمعارف ويوزعونهـا يمنة ويساراً لتحسين حالة البشر اجمع. ان هؤلاء الافراد الممتازين اثبتوا ان في امكانهم دفن الضغائن والاحقاد التي يصطلي غيرهم بنيرانها اللاذعة دون استفادة ولا انتفاع. واخذوا يسعون الآن جهدهم لتعميم الروح الذي يخفق في جوانحهم ورفع الجنس البشري بجملته الى مستوى واحـد من العيش الهنيء المرتكز على اعمدة متساوية من الثقافة العقلية والاخلاق السامية والاقتصاد المادي.

وكل شيء جديد ينتجه العلم يعني تحويراً ذلك ما جرى في عالم الكهرباء من التأثير العام في بايجادها اصنافاً رخيصة بدلا من بعض الاصناف والاعمال الهندسية. هؤلاء العلماء الكبار ما زالوا انتظـام. فكانت افكار البعض منهم تتجه تقع صدفة واتفاقاً عليهـا دون سابق تفكير او جدية بهذه الامور ما لم يموتوا جوعاً في انصرافهم الاغنياء رجالًا يمدهم بمال قليل كي يسدوا به حاجتهم

وقد شعر اهل العلم بالحـاجة الى التضافر بنا في تسهيل الامور امامهم من الفائدة الكبيرة ميدان الفلك. وصارت الابحاث الفلكية تجري

لجريدة نيويورك تيمس – وهي من امهات صحف العالم – محرر خـاص للشؤون العلمية هو ولدمار كمبفرت، يحرر باب العلوم فيهـا ويشرف على كل المقالات والبرقيات التي تمت الى العلم بأقل صلة ولا تنشر في (نيويورك تيمس) الا بعد ان يجيزها. وهذا المقال الذي يعربه الاستـاذ امين الغريب لقراء الاديب مثل من مقـالاته التي ينشرهـا في تلك الصحيفة.

وتبديلًا في الحياة الاجتماعية. واقرب دليل على معيشة الناس، وما فعلت الكيمياء في الصناعة الطبيعية كالحرير والمطاط والخشب والفولاذ يعملون طوال الاجيال متفرقين متشتتين بدون عرضاً الى الطوارىء العارضة فتدرسها وتمحصها او تصميم. وما كان العلماء في الغالب يعتنون عناية اليها وعكفهم عليهـا. ويقيض الله لهم من بين في العمل الضروري لها.

فاخذوا منذ عهد يسير يقنعون الحكومات والماليين للعـالم اجمع فظهرت بوادر سعيهم حتى الآن في في نطاق ممهد اذ هبت الامم الراقية لتجهيز ارباب

هذا العلم بالاموال الطائلة لانشاء المراصد وصنع النواظير الجبـارة والادوات الدقيقة. وصار الفلكيون ينظمون البعثات الكبيرة ذات النفقات الطائلة تشترك فيها دول متعددة ولا تقف امام مصاعب مالية على الاطلاق.

ان عصبة الامم التي انشئت على اثر الحرب العالمية الاولى لم تنجح بتاتاً في السياسة. لكنها نجحت كثيراً في مجال العلم. لانهـا نظمت ابحاث العلماء في عدة حقول. ومهدت السبل للبحث والتنقيب. كما قام المعهد الزراعي الدولي بتنظيم اعمال الحكومات المستقلة فوضع خرائط للطقس والمياه على سطح الكرة. وبقي الآن على الباحثين في تنظيم العالم بعد الحرب ان يضعوا للابحاث العلمية برمتها نظاماً دولياً يتعاون فيه اربابه على حل مشكلات المعيشة وازالة المصاعب من طريقها ومكافحة اعداء البشر الالداء سواء في الامراض والادوية او في هيـاج العناصر الطبيعية او غير ذلك.

وقد اخذ العلماء الآن يبحثون هذه النقطة الجوهرية لهم وللعالم فقالوا بوجوب انشاء لجنة عالمية من اكابر العلماء الطبيعيين والاجتماعيين يتناولون مرتبات عالية تقيهم كل عوز مدة عشر سنوات.



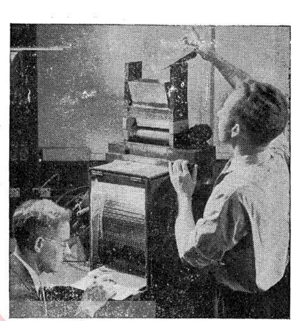
ولدمار كمبفرت

ثم يخلون امكنتهم فيها لافراد آخرين احدث منهم سناً كي يظل نشاط الشباب سائداً على اللجنة. وتوضع تحت امرهم اموال تشترك في دفعها كل الدول على نسبة موازناتها السنوية.

ان الولايات المتحدة وضعت مثالا لما يجب ان يكون هذا المشروع العلمي بإنشائها في هذه الحرب «مكتباً للبحث والتحسين العلمي» فجنت منه ثماراً يانعة في تحسين انوار التفتيش وادوات الاشارة وغيرها من الآلات الدقيقة لقوات البر والبحر والجو.

اجل ان نفقات هذه اللجنة ستكون كبيرة. لكنها لا تقاس بجزء من النفقات المهدورة الآن على الجيوش والاساطيل الحديثة. وعلى كل حال لا بد للبشر من انفاق عشرات بل مئات من الملايين على ايدي ادارة منظمة لكي يتسلطوا على ما في المادة المحيطة بهم من قوة ونشاط ويستخدموها لفائدتهم ولكي يقهروا الامراض بالوسائل الهينة التي اتضح الآن انها ميسورة لهم.

أليس عجيباً مع تقدم الطب في مختلف النواحي ان يكون الاطباء لا يعرفون شيئاً حتى الآن عن الزكام البسيط وكم وكم من الامراض التي تفتك منا بالالوف، والطب واقف امامها عاجزاً مكتوف اليدين. نحن نعرف متى تكسف الشمس ويخسف القمر قبل موعده بمئات السنين، لكننا لا نعرف اليوم يقيناً كيف يكون الطقس غداً. يقدر عدد الاشياء التي يمكن تركيبها من مشتقات البترول بثلاثة مليارات، على ما يؤكد العلماء المتخصصون. ولا بد ان تكون بينها مئات ذات فائدة عظيمة للعنصر البشري. ولكن ايجادها وامتحانها يقتضي سعياً حثيثاً منظماً ونفقات طائلة لم يستعد الناس لها لانشغالهم عنها بما هو أقل فائدة منها.



عالمان اميركيان يشرحان اختراعاً كهربائياً لسحب القطع المعدنية الصغيرة من بين الفلزات والمواد الدنيئة المحيطة بها.

ان السيكلوترون آلة تدك المركبات وتفرق الذرات الصغيرة بعضها عن بعض. لكن ايجاد هذه الآلة يكلف مالاً طائلاً. ولهذا ما زلنا نجهل كيف نتسلط على ما في قمع ماء من القوة مع انها تكفي على ما يقال لانارة مدينة كاملة بالكهرباء. ان السياسيين يبحثون كثيراً في تقريب الامم ويسعون بمختلف الوسائل لتحقيق هذه الامنية. مع ان العلم وحده قائم منذ البداية بهذا المسعى وقد حقق منه قسماً كبيراً حتى الآن. ولولا العراقيل التي تضعها السياسة في سبيله من حين الى آخر لكان تقدمه أبعد ونجاحه أعظم.

ان السلم القائم بقوة السلاح يكون مؤسساً على الخوف. فإذا زال الخوف زال السلم القائم عليه وعادت الحرب الى الاشتعال. ان السلم الحقيقي الثابت هو المؤسس على العلم

عالمان اميركيان يستعملان آلة لقياس الصاعقة عند انقضاضها على الاسلاك الكهربائية. والعمود الظاهر في اليسار هو الذي يستوقف الصاعقة



برعم

☆

شفة تغري . فلا حول ولا ..   غويت نفسي وذلت كبريائي
إسقني يا حلو . قد ايقظت بي   عطشاً كالنار يسري في دمائي

•

انني التائب قد أفسدته .   إثمه ، إثم الهوى في مقلتيكا
برعم احمر ، شققه المنى   وسقته فنما في شفتيكا .

•

كنت ميتاً ، لا ارى الدنيا فما   حمت حتى قلت : يا ميت . فلبى
كفرت بالحب نفسي زمناً   فانتقم يا حب قد طأطأت حبا

•

كنت مخموراً فجاني ثملي   حينما أشرقت هدب غير صاح
إسقني . دعني أرى البرعم .   لا تسدل الليل عليه يا صباحي

•

أنت إن تعرض ، فكالليل مدت كفه النور .   وهذا الحسن نور
إسقني الايمان . اني كافر   واحبني دنيا الهوى ، إني فقير

وصفي قرنفلي — حمص

عهد الانبعاث في الادب العربي

من بناه؟

بقلم كرم ملحم كرم

لا ان تموت هذه اللغة ، لغة الضاد ، وقد عصمها كتاب ، وقام على الكتاب دين. فالعواصف على هوجها تقف كايلة عنها. والعواصف هبت عليها يوم اجتاح هولاكو بغداد ، وبطش بالمستعصم خاتمة الخلفاء العباسيين. فهانت لغة الضاد ، وهان ادبهـا ، الا ان الجوامع والمآذن لم تنم عن احتضانها والحدب عليهـا. فاقامت من حولها سياجاً منيعاً أمال عنها العوادي واولئك المستمسكون على الدين الحنيف يبتهلون بها صباح مساء الى الله « مالك يوم الدين ، إياك نعبد وإياك نستعين ».

لقد صانها الاسلام بوهجه واودعها مهجته ، فأمنت في حفاظه الغواشي. ولولاه ، لولا كتابه الامين ، لتبدلت وعدا عليهـا الاضمحلال. واذا اتفق لهـا ان تنعم ببعض الحياة عاشت في الزاوية ، محبوسة على قبضة من هـاتيك القبائل الخابطة في مجاهل الفلوات ، ولكن دون ان يثبت ادبها على دعامة. فلا يتلألأ ويشع ساطعاً في اكباد الظلمات ، هادياً باضوائه الانام الحية الى سبل النمو والبقاء.

ان الفضل افضل الكتاب.

وفي كل بقعة نجمت دولة من يؤمن بدين الكتاب القيت لغة الضاد ملعباً وسيعاً ومنبتاً خصباً. فما تلجلجت في سوى اكتاف بعض من اعتمدوا الاسلام قوة فتح وسلطان وعجمتهم تحول بينهم وبين اجادة لغة الضاد السمحاء.

وهذه علة عهد الانحطاط. قامت فينا دول اعجمية صدفت عن لغتنا ولساننا وهي تبغي الدعوة للغتها ولسانها. فاعتل ادبنـا وانقبض عن ميادينه نحواً من ستمائة سنة. وانه لزمن يكفي لابادة امم مكينة البنيان ، اثيلة في العز والمنعة ، ولخلق كون جديد يمحو خطوط الذاهبين ولا يبقي منهم على فضالة. الا ان الكتاب كان هناك ، يتلوه الشيخ في المسجد ، ويعلو بآياته صوت المؤذن: « حيَّ على الصلاة ، لا إله الا الله ! ».

فالنواة غالبت الزمن واستطالت على الايام. وما ان يقوم على نضجها سقاء مأمون الود ، صادق الهمة ، حتى تتشقق عنها الحجب وتنمو بطمأنينة وشوق الى الحياة. فانها لفي ظمأ الى عناية سديدة تتولاها يدٌ تقبض على صولجان ، او تبلغ من سمو الشأن مكانة تبيح لها الفصل والنهي في الاحكام. وهذه اليد جاد بها عليهـا فاتح اعجمي ، هبت به على وادي النيل مطامع جسام وقد تمثله مفتاحاً تلين له ابواب الدنيا على سعة طليقة ، وفسحة متناهية الابعاد.

والفاتح – ومن يجهله ؟.. – القائد نابوليون ، تلك الشعلة المتأججة ابداً في سبل الهداية ، المستضيء بلمعانها دعاة السياسة ، وقادة الجند ، وحماة العلم ، ودعاة النظام. فانقض على وادي النيل انقضاضاً صاعقـاً هاض اجنحة البزاة. وبسط سلطانه على الوادي غازيـاً تعلن باسمه الاحكام ، ومصلحاً يحيي الموؤود ، ويسدد الخطوات. فأبى ان يموت العلم في بلد طبع الابد بميسم العلم وجلال المعجزات. وساد نابوليون وادي النيل سنة ١٧٨٩ ، وبدء هذه السيادة مطلع النهضة الادبية في لغة الضاد ومستهل عهد الانبعاث. فالقائد حشد في بطانته جماعة من علماء قومه الظامئين الى نهلة قدسية من ميـاه النيل ، منبع التمدن ومهـد العلم والفن. وهؤلاء عكفوا على بث الحياة في الوادي الضائع المحجة ، المتقلب على جهل وشقاء. وما تناسى الفاتح الواعي تزويد حملته باحدث استنباط ، بالمطبعة ، وكانت تجهلها هـذه النواحي الزاحفة على خمول ، الحانية هاماتهـا لسادة كل مناهم ان يستعبدوا العقول ويستهينوا بالاجساد ، ليأكلوا الطيبات ويسمنوا من اكتاف قوم لانت فيهم الاعطاف

واي مذياع بثاث للعلم هي المطبعة. فالعالم لم ينفض عنـه الغباوة الفاشية الا يوم نعم بهذه المستحدثة العصماء ، الداعيـة الى تثقيف الالباب وهي من صم الحديد والفولاذ. فكأنهـا فاتحة عهد جديد افلت به العـالم من الجهل المخيم بصفاقة وكيد ، ليفتح عينيه على اشعة الثقافة الوضاءة ، ويهتدي بقبس الفهم آمناً الكبوة والاسفاف.

والمطبعة وقعت من ابناء وادي النيل موقع الاعجوبة. وما اكتفى نابليون بان يطبع فيها صحيفتين بلغة وطنه ، بل عمد الى صب ابجدية الضاد ، وطبع بها صحيفة « التنبيه » بلسان الكتاب الفخم البيان. وعهـد بانشائها الى اسماعيل الخشاب. فاستيقظ الحس الخامد ، وحطمت العقول قيود الابهام. وطاب للغازي الحاد

الذهن ، الوقاد الذكاء ، اقناع الاسلام بان هدف الفتح بعث ادب مبين يكاد يمحى ، وتثقيف نهى اعمتها الجهالة واعقمها الطغيان ، فنادى بانشاء مجمع علمي من شيخان المسلمين لتقويم عوج الضاد وانقاذهـا من الهوان الغاشي والعجمة الباغية . وقام المجمع ، وتزحزح الكابوس ، واهتدى لساننا وادبنا الى الصعداء .

وكان لبنان قد عكف على لغة الضاد يفسح لها المجـال في الدواوين والصوامع . فما لقيت سواه عاصماً بعد ما ضاقت بهـا السبل في الولايات العثمانية . ولبنان المضياف لم يجهل مكانة لسانه وقد حفل بالناطقين بالضاد ، فاحلها منـه منزلة شامخة ، وتعهدها بادمغة الموهوبين من فتيانه النبهاء . ونفقت يومذاك سوق المقامات وقصائد ابي الطيب ، فلم يبق اديب فتنه الادب الا ود ان يكون المتنبي والهمذاني ، يقتدي في منظومه بمعجز احمـد ، وفي سجعه بغوالي بديع الزمان .

فالضاد لقيت في لبنان معقلها الحصين مثلها في مكة والمدينة ودمشق وبغداد وحلب . فلم تكن هذه الشوامخ حنواً عليهـا واجلالاً لها دون هاتيك العواصم . فنمت في معابد المسيحيين تتفيأ ظل السنديانة البليل ، وانتعشت في حمى الشهـابي الامثل ، ابي سعدى . فتوالي على ديوان ذلك الحاكم العصامي ثلاثة من حملة مشعل الادب العين ، خاتمهم الشيخ نصيف اليازجي دعامة عهد الانبعاث وقائده الامجد . وماشاه في جهاده الشدياق والبستاني وابنه صاحب « الضياء » وسواهم ، فتوّجوا عهد الانبعاث بأكلة اوابد يطمئن اليها الادب ، وهي الحافز الاسنى لخطوه الحثيث في جادة البعث والكمال .

ولما استوسقت الكلمة لمحمد علي في وادي النيل ، لم يجد ذلك القائد الالباني الهمام غنية عن الاقتداء بنابوليون في النهوض بالعلم الى مستواه المنيف . وكان قد اشاح في البدء عن لسان الكتاب ، وهو الاعجمي ، بيد ان الاشاحة لم تكن موفقة ، فعدل عنها الى الهدية المثلى بالعطف على لغة الضاد والذود عن آدابهـا . ولقي في المطبعة ساعد الدعوة الايمن فحبس مجهوده على انشاء مطبعة بولاق يحضها على طبع نواجب الكتب من حديث وقديم . وخص بانباء ديوانه صحيفة « الوقائع » يجلوها فحول المنشئين .

فما بناة عهد الانبعاث اذاً سوى ملوك او اشباه ملوك ، اعجميان ووطني . ولقد اعتمدوا في البنيان فئة من الادباء الاعلام . الا ان بعث النهضة لم يكن لولا المطبعة ، فعليها وحدها تقوم زاوية البعث . وما كان يقوى نابوليون ، ولا الشهابي ، ولا محمد علي دفع نهضتنا الادبية في السبل القويمة المتواثبة فيهـا لولا المطبعة ، وقد اباحت لطلاب العلم الوقوف على نفائس الكتب دون مشقة ولا فحش بدل . فاقبل الناس عفواً على المطالعة والتعلم ، تشد بهم الى فهم الخفايا هذه الصحف الطالعة عليهم في كل يوم ، حاملة اليهم انباء المتفوقين ممن استهواهم العلم وقادهم الى المكانة السامقة بعد المذلة والبؤس .

والصحف مدينة بالحيـاة للمطبعة ، مبعث كل نهضة في سعة الاطلاع وانتفاض الثقافة . فكأنها وحدها عهد الانبعاث . لا في بلاد الضاد فحسب ، بل في العـالم على اطلاقه ، من القطب حتى القطب . وان يخلو الكون من علماء نابهين بخلوه من المطبعة ، وقد سنحت علينا العهود الخوالي بنخبة عز مثيلهـا من ذوي الفطنة والدهاء . بيد ان الثقافة ما كانت لتوفق لولا المطبعة نفسها ، لكل هذا الاقبال ، فتتجاوز الخاصة ، على يمن وايـنـاس ، الى اللفيف المجموع ، لتهذب النفس وتضيء العين ، وتغذي الالب ، مقوّمة صاقلة ، متلألأة في البلاط مثلها في الكوخ .

كرم ملحم كرم

تمحيصات معجمية بالثنائية والالسنية

بقلم الاب مرمرجي الدومنكي

مقدمة اخبارية

« انا لا أؤمن الا بالنصوص » هي كلمة تلفظ بها صاحب هذا المقال في ظرف من الظروف ، للقارىء تبيانه . شاءت العناية الالهية ان ابتعد ، في هذه الاحوال الحاضرة ، عن مقري المألوف ، المعهد الكتابي-الآثاري الفرنسي في القدس الشريف ، فاقضي السنتين الغابرتين في بيروت ، قياماً بمهمة لا علاقة لها باختصاصي ، حرمتني كل الوسائل الدرسيـــة . على اني اذ لم ارد الا متابعة البحث في الشؤون اللغوية الألسنية السامية ، وجدت في المكتبة الوطنية ما به اسد هذا الخلل . فكنت اتردد اليها يومياً، وابقى نصف النهار مكباً على التنقيب في المعجمية العربية .

في هذه الدار العلميـــة سررت يوماً بلاقاتي في مكتب الخل الكريم الاستـــاذ نور الدين بيهم ، في دائرة المخطوطات ، حضرة الاستاذ العلايلي الذي كنت قد طالعت بانعام النظر مصنّفة الثمين « مقدمة لدرس لغة العرب » . فتعارفنـــا شخصياً ، واخذنا حالا ، بحضور السيد بيهم ، نتجاذب اطراف حديث لذيذ ممتع . فالفيت جنابه على اتم الاتفاق معي في شأن كثير من المواضيع ، الا وهي مسألة المعجمية العربية وكيفية استئصال شوائبها ، والنظرية الثنائية وطريقة الالسنية السامية . ويطيب لي القول بان الاستاذ العلايلي مدركها حق الادراك ، ومن انصارها الغير . ومما يلذ لي الاتيان بذكره في هذه المناسبة ان في حلب الشهباء استاذاً منقباً ، بذكاء وحسن اسلوب ، في هذا الفرع من الالسنيات ، الا وهو حضرة الصديق الاسدي . وقد وضع جملة رسائل في هذا الصدد ، منهـــا على اصل الالفاظ التالية وهي « الله ، السماء ، جهنم ، حلب ، ليس ، وغيرها » .

في آخر هذه الجلسة التي عرفت فيها الاستاذ العلايلي ، اهديته نسخة من كتابي « المعجمية العربية » اذ المقصود من نشره تعريف وتعميم هذه النظريات وهذه الاساليب في البحث ، غير المألوفة في عالم اللغويات العربية ، في ديارنا الشرقية . وبعد مضي ايام قلائل ، عاد اليّ حضرة الاستاذ ، وما استقر به المقام الا واخـذ يتلو على مسامعي ما قـد حرره في صفحات . فاذا هو يصف السفر بديح واطراء ، ألحقه بنقد لاصل بعض الالفاظ المبحوث عنها في المصنّف المسفور . فشكرته طبعاً على وصفه اللطيف الذي نمّ عن علـم وسلامة ذوق وكياسة،اما في صدد النقد الذي اصغيت الى تلاوته بكل هدوء واهتمام ، فلم اجب الا بهذه العبارة التي اوردتهـا في مطلع هذا البيان وهي : « انا لا اؤمن الا بالنصوص» واضيف اليها اليوم « وبالنصوص المحصة » فاقر الاستاذ ذاته بان كلامه مبني على محض استنتاجات شخصية لا يدعمهـا سند منصوص . فافترقنا على احسن الصـلات ، وانا متصور ان ما جرى لم يصبغ الا بالصبغة الشخصية الخصوصية . واذ لم اعلق على القضية كبير اهمية،سلمت الورقة لحضرة الاستاذ بيهم الذي كان حاضراً ، وسمع ما قيـل . وكنا اوانذاك في آواخر تشرين الثاني سنة ١٩٤٢

غبَرَت عدة اشهر ، وانقضت مهمتي في بيروت . وبعد نهاية شهري العطلة في دار السلام ، الوطن المفدّى ، قفات آئباً الى مقري القدسي ، في منسلخ تموز من هذا العام . على انه من بضعة اسابيع اخبرني احد المعارف ان الاستاذ العلايلي نشر في مجلة « الاديب » البيروتية نقداً على كتابي . فكتبت حالا الى الصديق الاستاذ بيهم استطلع منه كنه الحقيقة . فبعث الي بجواب ظريف يصحبه عددان من المجلة المحكي عنها . فلما وقفت على المنشور فيها وجدته يقارب النص الذي تلاه على مسمعي حضرة العـلايلي في دار الكتب . فعجبت من هذه المفاجأة التي لم تكن في الحسبان ، لان الاستاذ لم ينبُس اوانذاك ببنت شفة ، لا بل لم يبد ادنى اشارة او تلميح عن نيته التي اجراها . ولعلها لم تخالج فكره ، فجاءت صرفاً وليـدة الظروف ، وربما ظروف شروعه في النشر في الموقوتة المذكورة .

لو كانت كلمته حاوية مجرد وصف او تقريظ للكتاب، لكنت كررت كتابة ما اعربته له من الثناء مشافهة. بيد هناك نقد أصر حضرته على نشره بين جمهرة الادباء والعلماء، مما لايسعني التغافل عنه، خشية ان يتخيّل هو، او يتخيل القراء ان في الاحجام عنه لعجزاً.

انا غير راغب في الجدل، لابل تنفر منه نفسي جد النفور، لان الخبرة علمتني انه عقيم وان «اسلوبه المهذب» لم يقم بعد في اصقاعنا ومن الامثلة على هذا الذي يؤسف عليه هو ما جرى لحضرة صديقنا ذي الفضل والوقار، اللغوي المدقق، والمؤرخ المحقق، والشاعر المتفنن، العلامة الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف، الذي طعنه احدهم بسهم نقد جارح خشن، وعلى مَ ؟ على غلطة مطبعية صادرة عن سهو مرتب الحروف. لكن .. «اننا خلقناكم اطواراً !».

اما الاستاذ العلايلي فقد لاح لي من محادثته، ووصفه، ونقده انه قصيّ عن هذا النمط المقيت، المخل بعلم صاحبه، بمقامه الاجتماعي، لا بل بشرف العلم والعلماء قاطبة.

لست بمعتد ما انا ناشره رداً على الاستاذ العلايلي، فهو مخيّر في ارتياء ما يرتئيه، وان كان مخالفاً لرأيي. بيد اجيب الى رغبته «حاملاً ذلك محمل التطارح بين صديقين جمعت بينهما فكرة، وشد اواصرها الغيرة على اللغة العربية، والنفور من التقليد الذي لا يستحق التقليد». وأضيف الى كلامه الظريف اني استغنمها فرصة ملائمة لسرد امثلة طبيعية للنظرية الثنائية والالسنية السامية في سبيل منفعة المعجمية العربية، عملاً بما قاله لي يوماً احد المستشرقين المجدّين: «ألا، أكثر، أكثر من التطبيقات العملية لهذه النظرية، فهي كلها خليقة بتكوين مجموعة براهين دامغة متضافرة على تقويض اركان مدعيات المخالفين وحملهم على اليقين».

ملاحظات عامة

ان كثيرين من اهل اللغة، في عصرنا الحاضر، وفي ربوعنا العربية، لا يستلذون ابحاث المعجمية الثنائية والالسنية السامية، لجهلهم ألسنة الساميين، ما خلا العربية. واذ كان الاستاذ العلايلي قد ولج باب هذه الدروس في «مقدمته لدرس لغة العرب»، فقد عرا مؤلفه هذا — على كثرة مزاياه ومحاسنه — جملة من النقائص، مصدرها عدم معرفته اخوات العربية، وهي الاكدية (الاشورية - البابلية)، والآرمية (السريانية)، والعبرية، والحبشية. ولاني اتمنى من الصميم لذوي المواهب في اللغويات ان يأتي سعيهم في هذا الحقل مثمراً بمخصب، حرّضت حضرة الاستاذ كما احرّض كل من كان ذا جدارة كجدارته، ان لم يتمكن التضلع حق التضلع من هذه الالسن، فلا أقل ان يشارك فيها بعض المشاركة. وذلك ليس بالامر الشاق، لان هذه اللغات اخوات، والفروق بينها كالفروق بين الفرنسية والايطالية والاسبانية والبرتغالية.

هناك ملاحظة ثانية في صدد حقيقة من الواجب على المتقصّي اصول الالفاظ السامية ان يضعها نصب عينيه، وهي الا يتسرع في الحكم بان الكلمة الفلانية هي من نجار عربي، او سرياني، او عبري، لوجوده مادتها واردة في احدى هذه اللغات المذكورة. اذ غير خاف على عارفي هذه الالسن ان وحدة المادة الاصلية تشمل نحو ثلاثة ارباع الالفاظ، انما تتضارب معانيها او تتفق حسب تطور المادة في كل لغة من هذه اللغات. زد على ذلك ان هذه الالسنة تتبادل الالفاظ طبقاً للاحوال الاجتماعية، او السياسية، او الدينية، او الجغرافية. وهذه هي النقطة المهمة.

دونك جملة من الامثال: هذه كلمة «فِصْح» بمعنى العبور، قد جاء منها اسم عيد من اعياد اليهود الكبرى، تخليداً لذكرى عبورهم البحر الاحمر ودخولهم ارض الميعاد: للفظة وجود في غير العبرية اي في العربية والسريانية والحبشية. بيد ان دلالتها على العبور لم تلف الا في العبرية وحدها. فاذن ان جاءت في العبرية او السريانية او الحبشية بهذه المعناة، وجب القول بانها دخيلة في هذه اللغات.

كذلك كلمة «صحاح» بمدلول «فصل او قسم من كتاب» مع ورود مادتها في العبرية والعربية بمعنى صحّ، صحيح، فالسريانية قد تفردت بالاطلاق عليها دلالة «فصل» فالنتيجة هي البت بسريانيتها دون عربيتها او عبريتها.

«توراة» اصلها الثنائي في عامة الالسنة الساميّة، ومدلوله النار، ومنه النور، ومن النور، مجازاً، العلم والتعليم والشريعة. بيد ان هذا الوزن Tôrah بمعنى التعليم والشريعة لا وجود له الا في العبرية. فاذا الفيناها في السريانية او العربية او الحبشية — كما هي ايضاً في عامة اللغات العصرية — اقتضى حتماً القول بأنها دخيلة من العبرية.

اذن لا يكفي ان تكون المادة من مواد المعجم العربي، للجزم

بعربيتها، بل يلزم النظر الى المعنى الخاص والوزن والاشتقاق.

هناك ايضاً امثلة كثيرة في لهجات البلاد العربية بالنسبة الى اللغة الفصحى. هذه كلمة «دَأَفَ» تدل في الفصيحة على النهوض والسير والسرعة. بيد ان استعمالها في فلسطين ولبنان يأتي بدلالة: نزّ الماء، وكَفَ، قطرَ. وهو عين المعنى للفظ الناظر اليها في السريانية، أي Dlaf ولعلنا ان كثرة من سكان لبنان كانوا يتكلمون السريانية الى القرن السابع عشر، لزم الاستنتاج ان هذه الكلمة «دأفَ»: قطر، سال، هي سريانية الاصل، مع ورود لفظ دلف في العربية.

كذلك القول في «لاط» بمعنى حرم، لعن، فهي من السريانية Lat، مع وجود مادتها في العربية، لكن لا بدلالة: حرَمَ، بل بمعناة: ضرب، طرد.

وعلى هذا النمط تأتي الالفاظ التالية: لقحه على الارض: ألقاه عليها. تلقح: استلقى على قفاه. تنيّح: مات واستراح. شمط: سلّ اقتلع. تزفّر: اكل اللحم ايام الصوم. نجش: بحث، حفر. نتش: خطف. كلها مستعملة في لبنان او سوريا او فلسطين بهذه المدلولات. وجميعها من السريانية، وان وردت مادتها في العربية، لكن بمعان مختلفة.

هناك ملاحظة ثالثة، وهي ان وفرة من الالفاظ، سواء كانت ثلاثية او ثنائية، تدل من الاصل على فحاو متغايرة، تضحي مبدأ لغيرها من المدلولات. من ذلك الحروف المطلقة على عمل من الاعمال، وفي الوقت عينه يُعنى بها صوتاً من الاصوات. وهو أمر طبيعي، بداعي ان عدداً من الافعال، في حين حدوثها، يصدر عنها صوت. مثال ذلك مادة «أج» يراد بها اولا العدو والسرعة والهرولة (وفي ذلك معنى الشدة)، ومعناها الثاني الملوحة، لان في الملوحة شدة، كما ان المرارة صادرة عن المرّة وهي القوة والشدة. الدلالة الثالثة لكلمة «اج» هي صوت لهيب النار، ومنه التصويت عموماً. كذلك «هسّ» تدل على دقّ الشيء وكسره. ولكن، اذا كان حين يدق الشيء يصدر عنه صوت بشدة، جاءت «هسّ» بمعنى اسم صوت يزجر به الغنم.

ومن هذه الامثلة في اللغة شيء كثار لا يحصره عد.

(للبحث صلة)

الاب مرمرجي الدومنكي — القدس

تطلب الاديب

☆

بيروت	من	دار الصحافة والنشر
طرابلس	»	مكتبة زبليط ومن عموم الباعة
زغرتا	»	السيد يوسف بو ديب
حلبا	»	السيد عبدالله محفوض
زحله	»	السيد جوزيف فرحات مطران
بعلبك	»	السيد علي الاحمر
دمشق	»	السيد عباس الروماني وعموم الباعة والمكاتب
حماه	»	مكتبة السيد عبد الحميد طباع
حمص	»	» السيد عبد السلام السباعي » السيد توفيق الشامي
اللاذقية	»	» السيد حنا نصره » عكاظ العلمية لصاحبها السيد احمد خالد مترجي
طرطوس	»	» الاستاذ صالح علي
حلب	»	» السيد جان رزق‌الله كردي
الباب	»	» الشهباء لصاحبها السيد محمد سعيد المكتبي
فلسطين عامة	»	شركة فرج‌الله للصحافة وعموم المكاتب والباعة
بغداد	»	مكتبة السيد عبد الكريم زاهد
الموصل	»	الشعب: السادة عبد النافع فاضل وسعيد احمد
مصر	»	عموم المكاتب والباعة

وهي تباع: في سوريا ولبنان بـ ٧٥ غرشاً لبنانياً، في العراق بـ ٨٥ فلساً، في فلسطين بـ ٨٠ ملاً، وفي مصر والسودان بـ ٥ غروش مصرية

الجدول التائه

ضلتَ طريقكَ يا جـدولي ... على بساطٍ اخضرٍ مخملي
خرجت حيراناً كثير الاسى ... وهمتَ في الدنيـا بلا مأملِ
ضاقتْ بكَ الارضُ على رحبها ... واربدّ وجه الافق للمجتلي
تعبرُ روضاً زاهراً مورقـاً ... وتنثني تعبر قفراً خلي
وتقطعُ الغـابة في حيرةٍ ... كحيرة الشاعر – لا تنجلي
وترسل الانغـامَ محزونةً ... خرساء! مـا رددها مبتلِ
تعانقُ النسمةُ مـاءً صفـا ... في شطك الغافي – فيا منهلي
وتستحمّ الشمسُ عريانةً ... تغمرهـا بالرائق السلسلِ
وينشر البلبلُ ألحـانه ... دنيا من الاشجان، لم يبخلِ

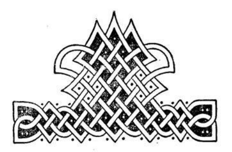
•

يا جدولي تهنـا وضل الخطى ... من سار في دنيـاه لم يأملِ
دنيـا من الآهات مملوءة ... موصولة الآخر بالاولِ
نعبرها والبؤس في دربنـا ... يعصفُ في كوخ وفي منزلِ
ونطلبُ الراحةَ في مزجنـا ... جزءاً ضئيل القـدر بالمجملِ

•

يا جـدولي عمك يهفو الى ... لقياك!! فاجرِ، نحوه.. وانزلِ
امـا انا فالروحُ حيرانةٌ ... تطلبُ شيئاً – بعد – لم ينجلِ!

محمود عيسى – صافيتا



النقوش العربية

وعلاقتها بالتصوف والسحر

بقلم ه. بروست بيرابن تعريب محي الدين فايد

☆

ان كل ما في الزخرفة العربية من رموز من خلق التصوف وهي انما اريد بها دعم طرائقه من جهة ومسايرة التقاليد في توجيه الذوق البصري من جهة اخرى. فالزخرفة ليست سوى رموز تخدم التصوف بشكل يتلائم كل الملائمة مع العقلية الاسلامية.

لقد خيل لبعض الباحثين ان الاشكال تنقلب حسابية بحتة، تنقلب اعداداً فاذا تكررت هذه الاعداد كان لها وقع موسيقي. ولكن هؤلاء الباحثين يهملون خصائص الاعداد ويجردونها من دلالتها.

على ان هناك نقوشاً تنطلق من الاشكال المركزية فيكون لها عدد من الزوايا يتزايد كما تتزايد الارقام ٤،٥،٦،٨،١٢،١٦ ثم تعود فتتسلسل بشكل يشبه من بعض الوجوه نقل الارجل اثناء الرقص على الخطوط المرسومة مما يصعب الاستمرار فيه بغير النغمة المرافقة.

وقد يظن البعض ان الزخرفة العربية واضحة لا ابهام فيها ولا غموض وصافية خالصة لا يخالطها شيء. فنحن لا نقره على ذلك وان كنا لا ننكر الصفاء الذي ساد النقوش العربية باسبانيا في العصر الممتد من القرن الحادي عشر الى الرابع عشر او في مراكش غير اننا نعترف من ناحية اخرى بان هذا الصفاء لم يظل طويلاً. بل اخذ يتلاشى الى ان انفقد في بقية العصور.

وواضح ان العين ليس من واجبها ان تتعرف فوراً الى الطريقة التي صنعت بها الزخرفة فذلك امر لا يعني المتفرج العادي وانما يعني الناقد الفني او الصانع الحديث الذي يجب ان ينسخها او يستكشف خفاياها. ان سر الصنعة ينبغي ان يظل على العكس مستخفياً ليكون باعثاً على انطلاق الخيال، شأن الستار الذي يلقى على الانسان قبل

النظر في المرآة السحرية ليكون فاصلاً بين العالم الواقعي والعالم الوهمي – او الحقيقي – الذي سينتقل اليه.

فالنقش اذا وضحت معالمه فتر تأثيره وانعدمت فائدته، غير ان هذا لا يمنعه ان يكون صافياً خالصاً اي غير متأثر بالفن الاوربي الذي كان في بدء نشأته يرمى الى محاكاة الطبيعة والترجمة عنها لان ذلك كان مما يحرمه الاسلام.

ان «كايزس» عندما كتب عن فن الزخرفة والنقش قد شعر بان الزخرفة العربية – ولنقل النقش العربي – لاننا نريد التعميم – هو ارقى فكرياً من الآثار الغربية، وانه انما كان ممتازاً لانه يحقق الاتحاد الروحي بين الفنان والخالق وهذا ابعد بل اسمى ما يرمي اليه الفن.

ولكنه يخطيء حين يعتقد بان النقش العربي يعنى بتحويل طبيعة البعد الى طبيعة الزمن ولعل خطأه هذا ناشيء عن استخدامه لتعابير فلاسفتنا العقيمة هذه التعابير التي سببت كثيراً من الالتباسات فالفلاسفة الاقدمون كانوا يذهبون الى ان المادة هي نتيجة البعد وان الفكرة لا تنفصل عن الزمن. دون ان يقيموا اية اهمية للفروق التي اكتشفها برغسون مجدداً بين البعد الهندسي والبعد المادي، وبين الزمن الرياضي والزمن الواقعي.

فلنعد الى ما كنا فيه لنقرر بان لكل نقش عربي ثلاثة معان رئيسية واخرى ثانوية لا تحصى بطبيعة الحال:

١: جمال زخرفي – هيستيري – ينبعث عن المعنيين الاخرين

٢: معنى لما وراء الطبيعة.

٣: معنى صوفي.

وقبل البدء بشرح هذه المعاني يجدر بنا ان نشير الى ان المعلم كينون guénon لا يعترف بذلك الالتباس الناجم عن اختلاط التعاليم الخاصة بما وراء الطبيعة التي كانت تعطى للعرب عن طريق الكسب او عن طريق الامتصاص بتلك التعاليم الصوفية التي كانت تعطى بطريقة فردية غير قابلة للانتشار.

لكن للروحية الاسلامية حالات خاصة تتساند فيها هذه التعاليم وان تكن غير قابلة للاشتراك مع بعضها في معظم الاحوال

ان من يشاهد الزخارف المتكررة التي تزين مقصورة ابن سراج في قصر الحمراء، او محراب مسجد قرطبة يمكنه ان لا يتجاوز حدود اللذة من حيث الجمال ولكنه يصل حتما تحت تأثير هذه الرموز التي تحيط به اذا كان من «اتباع الشيخ» وبخاصة اذا كان موهوبا، الى افشاء السر كما انه قد يستعين بهذه الزخرفة لبلوغ بعض المقامات ... او بعض «الاحوال».

وليس يعنينا ان نقف طويلاً عند الجمال الزخرفي ولكنه لا بد من القول – وانا في ذلك صادق لانني خبرت الاوساط الاسلامية المتصوفة مدة ثلاثين سنة على الاقل – بان تأثيره السار على العين يزداد قوة كلما كان التصميم موضوعاً او مصنوعاً في ظروف كان فيها جميع المعلمين في صناعة الزخرفة وفي صناعة النقش لا مكلفين بهذه الاعمال فحسب بل صوفيين في الصميم.

ليس في هذا الزعم اية غرابة لان التصوف كان في القرن التاسع عهد المعتمد مما يبشر به في مصر داخل المساجد. ولكنه كان في اسبانيا، في القرن العاشر والقرن الحادي عشر، رائجاً حتى في الشوارع. انتشر بواسطة «الطرق» طرق الاخوة التي كان ينتمي فيها اصحاب الصناعات في شتى الفنون.

فكانت الافكار الاسلامية عما وراء الطبيعة والتصوف تترجم مزروقة بالزخرفة الفنية الجذابة. وكان الاسلام يمد العرب بثروة ضخمة من الاخيلة لانه اقرب الى توقير المعقول منه الى توقير المحسوس. هذا فضلاً عن استعداد العرب انفسهم سواء من حيث النشأة ام من حيث الفطرة. فالساميون جميعهم قد اشتهروا بالعلوم الرياضية والفلسفة وعلم الفلك. ومعلوم ان الافكار المجردة، ومنها بل من ابرزها الاعداد، لا يمكن ادراكها بشكل محسوس الا عن طريق التمثيل الهندسي، وفي هذه الحدود تصبح الاعداد مرتبطة باسمى ما تمثله الطبيعة عندما تتضائل امام اعيننا في مساحتها الكبرى. وليس ادل على ذلك من المناظر الرتيبة التي تشاهدها في الصحراء. فان لهذه حدوداً من غير شك لكنها تتراجع كلما تقدم الانسان تحت سمائها الصافية وكواكبها الثابتة.

وليس غريباً ان نذكر هنا علم الفلك فقديماً كان هو ذلك الباب الذي دخل منه علم الهندسة الى الطبيعة. وبفضله اتحدت الفكرة المجردة للاعداد مع مقتضيات الحياة المادية.

ومن المرجح ان النقش العربي لم يبحث الى الان الا على الطريقة التحليلية مع ان الواجب كان يقتضي غير ذلك لان الفنان او الصانع سواء كان ناقلا او متأثراً او ناقلا ومتأثراً معاً انما كان هو نفسه يرمي الى غاية تأليفية Synthèse. وهذا هو الذهن العربي فقد كانت تسيطر عليه، قبل ان يلجأ في حل معضلاته الى هذه الخطوط الرشيقة، فكرة تأليفية خالصة هي فكرة متصوفي الاسلام عن

« الوحدة » أو التوحيد.

ضع كل هذا نصب عينيك وتعال تلمس الزوايا وقس المضلعات وقدر المضلع الواقع تحت القوس حيث زخرفة الازهار ، وحاول ان تقيس كل هذا على الطريقة المتبعة في عرض الفكرة الرئيسية تجد عندئذ في الوسط المربع والمخمس والمسدس وحدات هندسية ومن حولها ازهاراً متلامسة متماسكة تؤلف بينها جميعاً.

والنقش العربي يحملنا الى اقصى من البعد والزمن انه يسبب لنا سيما اذا كنا متشوقين الى ذلك ، حالة من حالات النشوة السامية تنتهي عندها جميع لذاتنا واحلامنا . والى ذلك فهو لا يعجز عن تحريك شعور الناظر العادي لا نقول بالخلود، فالخلود صعب فهمه عليه ، بل بشيء من الابهام والغموض ومثل هذا الفن لا يمكن العثور عليه في مجاري المدنيات الاخرى فهناك بعض حالات فقط من التصوف توفق الى اشاعة الشعور بالخلود لان (الحس الازلي) اذا هو اطلق وترك له سبيل الامتداد تخطى في الطبيعة جميع الحدود.

ان الزخرفة العربية تسعى الى ادراك غايتها هذه ، غاية الابهام والغموض ، عن طريق تعداد البواعث والمؤثرات.

وقد استطاع كاييت Gayet مؤلف كتاب (الفن عند العرب) ان يقرر ان فن الزخرفة الهندسية عند المسلمين تشده روابط كثيرة الى ما وراء الطبيعة والتصوف فهو يعبر عن كيفية امكان استحالة التكرار الى وحدة . وهذا قانون يؤمن المتصوفون بان الخليقة انما قامت على اساسه . ويثابون لذلك برموز تحجب ما وراءها من امور جوهرية هذه الامور التي تسبب على مدى الزمن وبالتكرار حالة من حالات اللذة السكرى يغوص فيها المريد الى النهاية.

وانا اجد هنا في استعمال المسلمين الروحيين لهذه الزخارف معنى للمرحلتين اللتين تقوم عليهما الاعداد للتصوف وهما الجمع والفرق وواضح بعد كل هذا انه من الصعب الجزم بان الفن العربي يحذف امامنا البعد والزمن . فالفن العربي انما يستطيع ان يصل بالشخص الى هذه الغاية اذا كان الشخص موهوباً على ان يراعي في ذلك مبدئي الاقتران والتعاقب . لان المؤثرات اذا استحالت الى احساس مجهول كان تكرارها باعثاً على الغاء النغمة المتعاقبة من ساحة الشعور.

وخلاصة القول ان النقش العربي يسبب لنا ما يسمى (بالسكون الحي) فهو يبسط علينا هدوءاً سحرياً شاملاً تكون سيطرته اعمق واقوى من اي نوع من المخدرات.

ولهذا كان النقش العربي ، وهو في الواقع اثر في آثار المتصوفين كـكل الفنون التي لها هذا السمو الروحي ، لا يستهدف الشعور وانما يستهدف العقل ، والعقل فحسب.

وهذا حكم لا ينطبق على النقش العربي وحده بل على جميع الفنون الاخرى . ويكفي ان نذكر للبرهنة على ذلك ما يتركه النشيد والقصيدة في نفوس العرب من شعور واحساس ، في النشيد والقصيدة تكرار كما في النقش لاننا ان حذفنا او زدنا بيتاً لم يطرأ اي تحوير . غير ان النقش يفوقهما كثيراً من هذه الناحية في خصائصه الفكرية اذ يصلح وسيلة ممتازة لفهم ما وراء الطبيعة والتصوف.

ولعل من المستحسن ان نذكر ما تسببه نظرة الدراويش (المولوية) الى السماء من شعور وتأثير . مما قد يدعي الطبيعيون انه نتيجة مسكرات او مخدرات عادية — على انهم معذورون في ذلك لقلة خبرتهم ولذلك تراهم -انهم في واد والآخرين في واد— وواجب ان نشير هنا الى القصص العربية فهي تتفق في طرق اداتها مع النقوش لان همها دائماً ابراز العرب في احسن وجه واجمله . فهي ترمي الى اشاعة الشعور بالمجهول ولهذا كانت لا تقصد الى لذة المتفحص او السامع فحسب بل الى الاشارة لمعنى ما وراء الطبيعة. وهذا الامر ينطبق على جميع الفنون الاسلامية ايضاً . ولا يقوم البرهان على ذلك في القاهرة وحدها بل في جميع البلدان العربية الاخرى كبلاد الاندلس ومراكش والجزائر.

وليس صحيحاً ما يذهب اليه بعض الطبيعيين من ان النقوش العربية بجميع انواعها ، حتى الزخارف منها التي هي من الانواع الاكثر انتشاراً عند المسلمين ، كانت خالية من المعاني الرمزية . فالساميون بوجه عام قد اشتهروا باهتمامهم بعلم الاعداد والمضلعات وهذا وحده كاف لالهامهم معنى الرموز.

والواقع ان الاعداد والمضلعات كانت من عناصر الفن والجمال اذ كثيراً ما كان يعمد اليها في تمثيل الرموز الحسابية المقدسة هذه الرموز التي تسمى (بالجفر) والتي تقابل عند اليهود القسم العددي والهندسي من (القبالة Qabbalah) ومما لا شك فيه ان الهندسة والحساب يلتقيان فان الاعداد ٣ و٤ و٥ و٧ ترمز الى اشكال المثلث والمربع والمخمس والمسبع هذه الاشكال التي تنمو حتى تشمل جميع الانواع الاخرى . من هذا المبدأ تنطلق النقوش العربية واليه تنتهي . على ان الساميين لم يتخذوا من هذه النقوش رموزاً لما وراء الطبيعة فحسب بل كانوا يستخدمونها في اعمال السحر

ايضاً. هذه الاعمال التي تعتبر نتيجة طبيعية لما تفهمه بعض الاذهان عما وراء الطبيعة.

فمنذ القرن الاول للهجرة وبعد القرن العاشر الميلادي على الخصوص بدأت النجوم المخمسة والمسدسة تزين الكؤوس السحرية والمرايا السحرية وفصوص الخواتم ويحسن هنا ان نذكر ان الزجر والتنجيم وهما من ضروب علم الغيب قد كان فيهما للاشكال الهندسية والاعداد المكان الاول، وقديماً كان السحر عند الكلدانيين رياضياً بحتاً.

ولعل في تلاوة «الاوراد» مكررة على حبات السبحة وفي استخدام الانغام الحركية في «الذكر» برهاناً على اعتقادهم بما للاعداد من قيمة خلقية هذه القيمة التي انما تعتبر الاشكال الزخرفية مظهراً من مظاهرها.

فالنقوش والزخارف ليست سوى اذكار نظرية.. وهي تفعل في الانسان احياناً ما تفعله (الطلاسم) (والتعاويذ).

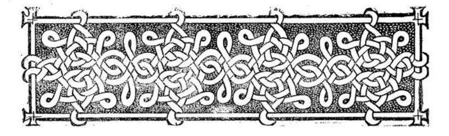
ان للنقوش اذن غايات بعيدة وبعيدة جداً. والفكرة الصوفية هي الفكرة التي كانت تسيطر عليها جميعاً.

والغريب انه ما عرف عن احد ممن تعاطوا فن الزخرفة، ابان ازدهار الفنون في الاسلام، انه انتمى الى مدرسة ما بل كان هؤلاء يتلقون دروسهم بطريقة شفهية. فكان «المريد» يبدأ بالاتصال الشخصي بشيخه ثم ما يلبث ان يصبح هذا المريد معلماً. ولقد كان في الغرب شيء يشبه هذا في القرون الوسطى حين كان يتعذر على صاحب الصنعة الاتصال المباشر لاكتساب الطرق والاساليب.

ومما هو جدير بالملاحظة ان الصناعات القديمة في اوروبا لا سيما صناعة الفن كانت تستهدف عند نشأتها غاية دينية. شأنها في ذلك شأن جميع الفنون الاسلامية بصورة عامة والنقش منها بصورة خاصة لانه الصقها بالدين.. غير ان الفنون الاسلامية قد تفردت من دونها بالمحافظة على طابعها هذا بصورة مستمرة فظلت دائماً حقلاً خصباً لما كان يتمخض عنه علم النفس الفلسفي والديني في الاسلام.

وفي هذا دليل قاطع على ان الفنون الاسلامية لم تكن عبثاً بل كان لها هدف تتجه اليه وتعمل على بلوغه بقوة وعمق وتعبير.

تعريب محيي الدين فايد



امراء القصة في الشعر العربي

بقلم عبد الغني العطري

القصة فن من فنون الادب الجميلة ، التي اصبحت تحتل في الآداب الحديثة المكان الارفع . وصار علينا اذا اردنا ان نعرف مقدار رقي الادب في احدى الامم او تأخره ان ننظر الى فن القصة عندها ، وبقدر ما يكون عليه هـذا الفن من رقي او انحطاط ، يكون ادب تلك الامة مزدهراً او متأخراً .

وكان من حظ الادب العربي انـه قصّر في ادب القصة ، فاستطاع بعض الباحثين والمستشرقين ان ينالوا من ادبنا ، وان ينعتوه بالنقص . وقـد تكون دعوى هؤلاء الباحثين والمستشرقين على شيء من الحق ، ولكنها ليست على الحق كله ، واننا نجد في التراث العربي ولا سيما في المقامات وفي الف ليـلة ما يبطل دعوى اولئك الباحثين والناقدين .

ويلذ لي ان اتحدث عن ضرب من القصة يمتـاز بالطرافة والروعة ، هذا الفن الذي نجده لدى طائفة من شعراء العرب ، والذي كان مؤسسه الاول — ان صح هـذا التعبير — الشاعر الجاهلي « امرؤ القيس »

والذي يغلب على الظن ان الشعراء العرب الذين نجد في شعرهم قصصاً او ما يشبه القصص ، لم يعمدوا الى هذا الضرب من الشعر قصداً ، ولكي يكون شعراً قصصياً — لانهم لم يعرفوا القصة على شكلها الحقيقي — وانما نظموه ليرووا فيه على الغالب ، حوادث مغامراتهم وزوراتهم ، فجاءت القصة فيه عفو الخـاطر ، لا تصنع فيها ولا تكلف . ولعل ابتعاد هذا الشعر عن التصنع والتكلف وانتزاع الشاعر اياه من صميم الواقع والحياة ، هو الذي يجعلنـا نجد فيه لذة ومتعة لا نجدهما في سائر الشعر العربي .

واذا اردنا ان ننصف امرأ القيس ، والا نأخذ برأي الدكتور طه حسين في الشعر الجاهلي عامة ، وفي شعر امريء القيس خاصة ، كان الملك الضليل الشاعر العربي الاول الذي فتح امـام الشعراء باب القصص .

وشعر امريء القيس في القصة لا يعـدو ان يكون محاولة ، وقد اصاب بعض النجاح في محاولته هـذه ، وعده المنصفون من مؤرخي الادب ، اول من فتح باب الشعر القصصي امام الشعراء .

يحدثنا الملك الضليل في شعره هذا عن مغامراته ، ويروي لنا حوادثه مع معشوقاته والنساء اللواتي احبهن وعاشرهن ، ومما اليهن ، بعد ما قام اهلوهن سمو حباب الماء حالا على حال . ويصف لنا اللقاء بينه وبين محبوبته والحديث الذي دار بينهما ، وكيف خافت المرأة ان يفضح امرهما والناس من حوليهما ، وكيف اقسم انه لن يبرح مكانه ، ولو قطعوا رأسه لديها واوصاله :

سموت اليها بعد ما نام اهلهـا	سمو حباب الماء حالا على حال
فقالت : سباك الله انك فاضحي	ألست ترى السمار والناس احوالي
فقلت : يمين الله أبرح قاعدا	ولوقطعوا رأسي لديك واوصالي

ويروي لنا في معلقته قصته المشهورة مع العذارى ، يوم ذبح لهن ناقته ، واخذن يأكلن من لحمها وشحمها .

وفي معلقته ايضاً يقص علينـا حادثته مع احدى محبوباته ، ويحدثنا كيف سعى اليها متجاوزاً حراساً لها ومعشراً يحرصون على قتله . جاءها وهي تخلع ثيابها وتتأهب للنوم ، فأنّبته وعنفته . . . ثم خرج واياها اخيراً وهي تجر وراءهما ذيل رداء لتخفي عن الانظار آثار مشيهما :

وبيضة خدر لا يرام خباؤها	تمتعت من لهوبهـا غير معجل
تجاوزت أحراساً اليها ومعشرا	علي حراصاً لو يسرون مقتلي
فجئت وقد نضت لنوم ثيابها	لدى الستر الا لبسة المتفضل
فقلت : يمين الله مالك حيلة	وما ان ارى عنك الغواية تنجلي
خرجت بها امشي تجر وراءنا	على اثرينـا ذيل مرط مرحل

ولامرىء القيس طُرف واقاصيص يرويها لنا في مواضع متفرقة من ديوانه ومعلقته .

ومما هو جدير بالذكر ان امرأ القيس لم يأتنا بهذا الضرب من الشعر كامـلاً ، وبالشكل الرائع الذي نجده عند ابن ابي ربيعة ، وانما كان له فضل السبق اليه ، وتوجيه الشعراء اليه من بعده . وقد كان هذا الشعر قليلاً في العصر الجاهلي ، ونحن لا نجد شبيهاً لشعر القصص الغرامي في ذلك العصر ، الا في شعر المنخل اليشكري ولا

سيما في قصيدته الرائية التي يصف بها المتجردة امرأة النعمان (*).

*

نترك الآن شعر القصص عند امريء القيس، لنلتفت الى الشاعر الذي قال بعضهم في وصفه:

« ما عصي الله بشيء ، كما عصي بشعر عمر بن ابي ربيعة ».

اجل لقـد كان عمر امير الشعراء الغزلين غير مدافع ، وكان شعره ، في الغزل القصصي ، ومحادثة النساء ، والحوار الذي يدور بينه وبين محبوباته ، درة في جبين الشعر العربي .

وقد استطاع عمر ببراعة فنه، وقوة اختراعه، ومقدرته الشعرية ان يروي لنا حوادثه الغرامية ، بشكل قصصي يستهوي القلوب . ولعل احسن ما نظمه « شاعر المرأة » في عالم الشعر القصصي رائيته الشهيرة التي يروي لنا بها حادثته مع محبوبته « نعم » وكيف سعى اليها ذات ليلة بعـد ان نام العواذل والحساد ، واطفئت الانوار وغاب قمير كان يهوى غيوبه ، وخفض عنه الصوت ، فاخذ يمشي مشية الحباب على سطح الماء، فلما اقبل عليها فاجأها بتحيته فصرخت متحسرة ، وكادت بمكنون التحية تجهر . ثم عضت على اصبعها خشية الفضيحة ، واخذت تعاتبه على صنيعه :

وقالت وعضت بالبنان فضحتني ... وانت امرؤٌ ميسور امرك أعسر
أريتك اذ هنّا عليك ألم تخف ... رقيباً وحولي من عدوك حضّر
فوالله ما ادري أتعجيل حاجة ... سرت بك أم قدنام من كنت تحذر
فقلت لها بل قادني الشوق والهوى ... اليك وما نفس من الناس تشعر
فقالت وقد لانت وافرخ روعها ... كلاك بحفظ ربك المتكبر
فانت ابا الخطاب غير مدافع ... علي امير مـا مكثت مؤمّر
فبت قرير العين اعطيت حاجتي ... اقبل فاهـا في الخلاء فاكثر

ويصف لنا بعد ذلك ايلته هذه مع « نعم » وكيف تقاصرت تلك الليلة ، وما كان ليله قبل ذلك يقصر .

فلما تقضى الليل الا اقله ، وكادت النجوم تغيب ، اشارت بأن الحي قد حان وقت قيامهم ، ولكن « عزور » موعداً للقاء جديد بينها. وبينما هما كذلك، اذا بمناد يهيج بالقوم داعياً اياهم الى الرحيل فلما رأت « نُعمُ » ، من قد تنبه ، رغبت اليه ان يدركهـا بحل ينقذ الموقف :

فقلت ابادهم فإمـاً افوتهم ... وامـا ينال السيف ثأرا فيثأر
فقالت أتحقيقاً لمـا قال كاشح ... علينا ، وتصديقاً لما كان يوءثر ؟

فان كان مـا لا بد منه فغيره ... من الامر ادنى للخفاء واستر
أقصّ على اختيّ بدء حديثنـا ... ومـاليَ من ان تعلما متأخر
لعلها ان تبغيـا لك مخرجاً ... وان ترحبا صدرا بما كنت أحصر

فقامت الى اختيها ، والدموع في عينيها ، والخوف في قلبها ، فقصت عليهما ما حدث ، فارتاعتا بادىء بدء ، ولكن احداهمـا اقترحت ان :

يقوم فيمشي بيننـا متنكرا ... فلا سرنا يفشو ولا هو يظهر
فكان مجني دون من كنت اتقي ... ثلاث شخوص كاعبان ومعصر
فلما اجزنا ساحة الحي قلن لي ... اما تتقي الاعداء والليل مقمر ؟
وقلن أهذا دأبك الدهر سادرا ... أما تستحي او ترعوي اوتفكر؟
اذا جئت فامنح طرف عينك غيرنا ... لكي يحسبوا ان الهوى حيث تنظر

هذا عرض موجز لأهم ما جاء في رائية عمر ، هذه القصيدة التي تعد درة في جبين الشعر العربي ، لما حوته من رائع الوصف ، ورقيق الغزل وشائق الحوار . انها لون جديد في الشعر العربي ، كشف اللثام امرؤ القيس عن بعضه ، ولم يتح لمن جاء بعده من الشعراء ان يحلق في الجو الذي حاول امرؤ القيس ان يصفق بجناحيه فيه .

واذا لم يكن لابن ابي ربيعة من الشعر سوى هذه القصيدة ، فهي في نظري كافية لان ترفعه الى عرش الشعراء الذين اجادوا في القصة الشعرية وبرعوا بها . ولكن ابن ابي ربيعة لم يكتف بهذه القصيدة القصصية وحدها ، وانما وقف كثيراً من عبقريته ونبوغه لنظم هذا الغزل الفني الجديد . وفي ديوانه كثير من امثـال هذا الشعر القصصي الذي يستهوي القاريء ويأخذ بجامع قلبه .

وانظر اذا شئت قصيدته التي مطلعها :

راح صحبي ولم أحيّ النوارا ... وقليل لو عرّجوا ان تزارا

ففيها يروي لنا حادثته مع محبوبته « النوار » ، ويصف كيف فارقته ، وكاد يستطير عقله من لوعة الفراق ، الى ان استطاع ان يهيء لنفسه لقاء بمعونة بعض صحبه الاوفياء . ولنستمع اليه كيف يصف لنا لقاءه مع من يحب :

ثم أقبلت رافع الذيل اخفي الوطء ... أخشى العيون والنظـارا
فالتقينـا فرحبت حين سلمت ... وكفّت دمعـاً من العين مارا
ثم قالت عند العتاب رأينـا ... منك عنـا تجلدا وازورارا
قلت : كلا لاه ابن عمك بل ... خفنا اموراً كنا بهـا أغمارا
فجعلنا الصدود ، لما رأينـا ... قالة الناس ، بيننـا أستارا
وركبنا حالاً لنكذب عنـا ... قول من كان بالبنان اشارا

ثم اصطلحا بعد هذا العذر والعتاب . ويؤكد لها حبه فيقول :

والليـالي اذا نأيت طوال ... وارٰهـا اذا دنوت قصارا

(*) ادباء العرب ج١ ص ٣٢

ويقضي عمر عند النوار ليلة من أحب لياليه اليه ، وعندما يظهر ضوء من الصبح تنبهه قائلة :

يا بن عمي فدتك نفسي اني ... أتقي كاشحاً اذا قال جارا

ولو اردت التبسط في الحديث عن القصة عند عمر اكثر مما فعلت ، لضاق بي المجال ، ولكني اكتفي بالاشارة الى قصيدتين من جيد شعره في هذا الباب ، ومطلع الاولى :

هاج فؤادي موقف ... ذكرني ما أعرف

ومطلع الثانية :

طال ليلي وقعنا في الطرب ... واعتراني طول هم ونصب

ففيها عذوبة ورقة وفن قصصي ، لا يقل روعة وسحراً عن كثير من شعره القصصي ، الذي نجده في صفحات شتى من ديوانه .

*

وممن ضربوا بسهم في القصة ، الفرزدق الشاعر . فقد راق له اساوب ابن ابي ربيعة في الغزل القصصي ، وأعجب به ، كما راق له من قبل اساوب امريء القيس ، فحاول الفرزدق ان يحلق في الآفاق التي حلق فيها عمر ، ولكن خشونة شعره . وابتعاد الفاظه وقوافيه عن الرقة والعذوبة لم يمهد له السبيل الذي سلكه من قبل عمر وامرؤ القيس . والفرزدق في قصصه الغرامي لم يكن سوى مقلد لمن جاء قبله ، فهو يروي لنا — كما كان يروي عمر وامرؤ القيس — خبر زيارة ليلية لامرأة يشتهيها ، ويصف كيف تجشم المشاق وصعد اليها بواسطة الحبال ، فقضى عندها ليلته ، وعاد من حيث أتى ، بعد ان دلّت الحبل به امرأتان من أعلى المنزل . ويصف لنا نزوله على الارض فيقول :

فلما استوت رجلاي في الارض قالتا : (*) ... أحي يرجى أم قتيل نحاذره

فقلت : ارفعا الاسباب لايشعروا بنا ... ووليت في أعجاز ليل أبادره

ولعل ابرز ما يعيب غزل الفرزدق القصصي فحشه وقلة الحوار العذب فيه ، الذي نال به عمر منزلته الرفيعة في الشعر القصصي .

ومن الجدير بالملاحظة حقاً ان الشعراء الذين زاولوا فن القصة في الشعر قليلو العدد ، ضئيلو النتاج القصصي ، عرفنا بعضهم في الجاهلية والاسلام ، وسمعنا بعض قصصهم واخبار مغامراتهم وزوراتهم .

وتروي بعض كتب الادب ان انصار الامويين عندما انهارت دولتهم وزال حكمهم ، وضعوا اسطورة السفياني شعراً ، وألفوا الملاحم القصصية بالشعر والنثر . وقد تناولوا فيها الدعوة الى الامويين وإعادة حكمهم . وقد أتلفت هذه الملاحم في القرن الثالث للهجرة ولم يبق لها اثر خلال العهد العباسي .

واذا نحن تطلعنا الى الشعر في العصر العباسي ، لم نجد فيه من القصص شيئاً ، اللهم سوى لمحات لا تناسق فيها ولا فن . ولكن ابا نواس ذلك الشاعر الماجن الذي تذكرنا خمرياته وتعهره بغزل ابن ابي ربيعة ، من حيث الطرافة والجدة والروعة ، ذلك الشاعر العبقري يقص علينا طرفاً من اخباره ومغامراته بشكل يشبه بعضه الفن القصصي . ونجد الشعر القصصي في وضوح عندما نقرأ قصيدته التي مطلعها :

وأحور ذمي طرقت فناءه ... بفتيان صدق ما ترى فيهم نكرا

ففيها يروي لنا حادثة من حوادث مجونه وفسقه ، هذه خلاصتها :

« قرع ابو نواس وصحبه باب الذمي الجميل ، الاحور العينين ، فهب الذمي مذعوراً خائفاً ، فاقترب من الباب ، وسأل عن الطارقين فأخبروه بأنهم عصبة جاءوا سعياً وراء بنت الحان . فهدأ روع الذمي واطمأن قلبه . ثم فتح الباب ، فبدا الذمي فتى حسن الصورة والمنظر . فسأله ابو نواس عن اسمه ، فأخبره الفتى الذمي بالاسم واللقب . . . ثم اخبروه بأنهم راغبون بخمرته المعتقة ، فأجابهم الى سؤلهم وقال : ان خمرته قد احتجبت في خدرها حقباً عشراً . فأدوا له خمسة دنانير ثمناً لخمرته ، وجلسوا بعد ذلك يحتسون مع الساقي الجميل .

ثم وصف ابو نواس ، مجلس الشراب والساقي ، وتغزل بحسنه وعذوبة حديثه » .

*

هذه لمحة موجزة عن شعراء القصة في الادب العربي . ومالزعم اني أحطت فيها بكل ما قيل في الشعر القصصي عند العرب ، ولكني أطمع في ان اكون قد اعطيت صورة عن هذا الفن في شعرنا العربي ، بعد ان رأينا ان شعر القصة والملحمة يحتل منزلة رفيعة في آداب الامم الاخرى .

عبد الغني العطري — دمشق

(*) يرجع الضمير هنا الى محبوبته ، وصديقة لها .

مدى

بي منك طيب موعدٍ　　يصوغ من أمسي غدي
وجدُ شعاعٍ خافتٍ　　في مخدعٍ منفردِ
يودّ ، كيف الانفلات　　في مدارٍ موصدِ
يسبحُ في أكذوبةٍ　　ترخي عنان الابدِ
يا طيبها من مستحيلٍ　　مترفٍ لم يوجدِ
دفق سرابٍ غرقتْ　　فيه حياةُ الموجدِ
منها الطراوات ُ ومنها　　هشّ حلمٍ امردِ
ينامُ في جفن الرضا　　وثغر عمرٍ ارغدِ

•

ولي على الحرمان جوعٌ　　حول عيني ويدي
وفي فراغي ظلمةٌ　　صفرا بوجهٍ اسودِ
تروحُ فيها همسةٌ　　من السنا وتغتدي
لو انها فيض الدجى　　او بهرةٌ من فرقدِ
اهوى الرحابات و كوناً　　واهماً لم يولدِ
هذي الدنى في طرفه　　إيماءةُ المسترشدِ
حدوده يموت فيها　　خاطرُ المحدّدِ
هذا على انطلاقه　　كلمحةٍ في مشهدي

علي محمد شلق ـ صيدا

خضوع الذكاء لمقاييس علم النفس الحديثة

بقلم شفيق نقاش
مجاز في التربية وعلم النفس

✯

كان علم النفس قبل القرن التاسع عشر علماً فلسفياً قليل التقدم يعتمد على بضعة نظريات، هي نتيجة التأمل الباطني لعدد قليل جداً من الفلاسفة. وما جاء القرن التاسع عشر حتى تطلع علماء النفس الى معامل علوم الحياة والطبيعة ومختبراتها، واقتبسوا كثيراً من طرقها التجريبية، ومن الطرق الرياضية التي تتبع في معالجة نتائج هذه العلوم. وكان همهم قاصراً على معرفة كنه العقل البشري بوجه عام وطبيعة سلوكه، أي صفاته العامة، بصرف النظر عن الفروق التي توجد بين عقل وآخر.

وبعد ابحاث طويلة، واستقصاآت تجريبية مضنية لا سبيل الى ذكرها الآن، توصلوا الى معرفة طبيعة العقل وقدرته بالنسبة للعمر والنوع والجنس والوراثة والبيئة والتعليم. واخضعوا هذا العقل البشري الجبار الى تجاربهم وابحاثهم حتى توصلوا الى وضع علم خاص افردوا له مكاناً بين العلوم التجريبية، وسموه علم قياس القدرات العقلية، وبينها الذكاء. ولم تأت سنة ١٩٣٠ حتى كان لدى العالم احدث المقاييس للذكاء، وضعت بعد بحوث وتجارب استمرت ما يقرب من خمسين سنة.

وانتشرت هذه المقاييس في العالم، وشاع استعمالها في كثير من نواحي الحياة، واحدثت انقلاباً في نظم التعليم والصناعة، وفي التشريع وطرق معاملة المجرمين. ولو نظرنا الى الناحية التي تهمنا بصفة خاصة، وهي ناحية التعليم، لوجدنا هذه المقاييس تطبق الآن على الملايين من التلاميذ في امريكا واوروبا كل عام. وتراعى نتائجها في اختيار مناهج التعليم وطرقه، وفي نقل الطلاب من فرقة الى اخرى، وتقسيمهم في الفرقة الواحدة الى فصول متجانسة، وفي توجيههم الى السُبل التي تلائمهم من حيث نوع الدراسة ومهنة المستقبل.

ويرجع السبب في سرعة انتشار هذه المقاييس وتزايد الاهتمام بها الى انها تتصل مباشرة بنزعتين من أهم النزعات الغالبة على التربية الحديثة في هذا العصر وهما: العناية بأمر التلميذ الفرد، (أي دراسة الفروق الفردية) والاعتماد على الطريقة التجريبية في حل مشاكل التربية والتعليم. ولا بد لنا من ايجاز المقصود من هاتين النزعتين قبل ان نحاول تعريف الذكاء، ونبين شيئاً من مقاييسه.

ان اختلاف الافراد في الصفات العقلية والوجدانية أمر معروف من قديم الزمان، ولكن المدارس لم تلتفت الى اهميته الا منذ وقت قريب. اذ كانت نظم التعليم المألوفة تعمل على صب جميع التلاميذ في قالب واحد مهما اختلفت طبائعهم، ومهما كانت بينهم من فروق في الاستعدادات والمواهب. ولا نزال الى اليوم نحشد هؤلاء التلاميذ المتباينين في صف واحد، ونضع لهم منهجاً واحداً ونطالبهم بدراسته، ثم نعجب بعد ذلك لان بعضهم يعجزون عن القيام بما نتطلبه منهم، وننسب عجزهم الى الكسل والاهمال، مع ان السبب الحقيقي في عجز الكثيرين منهم، هو اننا نكلفهم ما لا طاقة لهم به، ونطالبهم بمواد لا تتفق مع استعداداتهم، ولا تحتملها مداركهم، وبذلك نجني عليهم ونلحق بهم أشد الاذى.

هذا هو تعليم الماضي، وهو تعليم يتنافى مع طبيعة الحياة ويؤدي بكثير من التلاميذ الى ان يصبحوا مشاكل دراسية وخلقية. اما تعليم الحاضر والمستقبل فإنه يشترط في مناهجه وطرقه ان تكون مرنة متنوعة، تتبع استعداد كل تلميذ وشخصيته. فواجب المربي ان يدرس تلاميذه كي يقف على مواهبهم واستعداداتهم وقدراتهم العقلية. وبذلك يتسنى له ان يختار لهم من وسائل التربية انجعها ومن المعلومات اكثرها ملاءمة لظروفهم وعقليتهم.

ومقاييس الذكاء من اهم الوسائل التي تستعين بها التربية الحديثة على فهم عقلية التلميذ. واما النزعة الثانية، أي النزعة التجريبية فقد وجدت منذ اخذ علماء النفس يستعملون في ابحاثهم طرق القياس والتجريب ليثبتوا ما في آرائهم من عناصر الصواب.

ومما زاد في الاهتمام بالطريقة التجريبية ان العصر الذي نعيش

فيه عصر انقلاب وتجدد في فلسفة التربية ونظمها ، تضافرت على انتاجها عوامل عدة، أظهرت فساد النظريات القديمة. فقام المفكرون والمصلحون ينادون بأساليب جديدة يرون فيها العلاج الشافي لما في النظم الحالية من مساوي. . وللتحقق من صواب هـذه الاساليب الجديدة او خطئها ، أنشئت المعامل التجريبية وانتشرت في بلاد عدة لان التجريب العملي اساسه القياس الدقيق والنتائج العملية.

هاتان النزعتان : نزعة دراسة الفروق الفردية ، ونزعة الاعتماد على التجريب ، همـا العاملان الاساسيان اللذان ساعدا على شدة الاهتمام بمقاييس الذكاء، وتطبيقها في التعليم.

استعراض موجز لآراء الباحثين في طبيعة الذكاء

سنلقي نظرة سريعة على مختلف التعاريف التي قدمها لنا علماء النفس التجريبي عن الذكاء، والتي استخلصوها من ابحاثهم وتجاربهم واختلفوا فيها باختلاف تطور هذه الابحاث والتجارب.

عرّف سبنسر الذكاء «بانه القدرة العقلية على تكييف العلاقات الداخلية (العقلية والفسيولوجية) عنـد الكائن الحي بالعلاقات الخارجية ». وبعبارة اوضح « ان الذكاء هو القدرة على تكييف الكائن الحي سلوكه للبيئة ». وعرّفه شترن الالمـاني بتعريف مستمد من آراء سبنسر فقـال : « الذكاء هو القدرة العقلية على التكيّف للمواقف الجديدة. او هو القدرة على التصرف ». وشارك شترن في هذا الرأي عالم آخر هو كلاباريد السويسري فقال: « ان العمليات العقلية التي تدخل في حل اختبارات الذكاء لا تخرج عن كونها مواقف جديدة تحتاج الى تكييف خاص. وعرّفه كافن « بانه القدرة على التعلم » والواقع ان التعلم نتيجة لوجود الذكاء وليس هو الذكاء بعينه. وعرّفه اينجهـاوس: « بانه القدرة على تجميع العناصر » او بعبـارة اوضح « القدرة على تنظيم افكار ومؤثرات متفرقة وربطها بعضها ببعض كي تتكون منها وحدة ذات معنى ». وعرفه تيرمان « بانه القدرة على التفكير المجرد ». وذكر سيرل بيرت « بان الذكاء هو القدرة العقلية العـامة الموروثة ». وريكس نايت: بانه العامل العام الذي يتخلل كل تفكيرنا ويحوي القدرة على كشف العلاقات والمتعلقات ». اما تورنديك فقال: « ان الذكاء هو مجموع الوظائف العقلية العليا » واما ألفرد بينيه الفرنسي فقد كان يغير تعاريفه للذكاء كلما تقدم في مقاييسه ونقح فيهـا. فقـال في احدى المناسبات: « الذكاء هو القدرة على التكييف والانتباه الارادي ». وفي مناسبة اخرى قـال: « انه القدرة على الادراك والابتكار والاتجاه ». ويقصد بالاتجاه ، فهم التعليمات وتنفيذها. ويُلاحظ في تعريفه هـذا انه رغم اعترافه بأن الذكاء شيء واحد فانه يقسمه الى وحدات. وكذلك نلاحظ ان تعريفه يصف وظائف الذكاء اكثر مما يصف حقيقته.

وهنا لا بد لنـا من وقفة قصيرة عند شيخ الباحثين في هذا الموضوع الذي وُفق بعد كفـاح ثلاثين سنة الى وضع احدث الاختبارات لمقاييس الذكاء، وهو الاستاذ سبيرمان بجامعة لندن. فآراؤه تعطينا اوضح الافكار المتفق على صحتها اليوم حول معرفة كنه الذكاء.

برهن سبيرمن بطرق رياضية ان كل عملية يقوم بهـا العقل يمكن اعتبارهـا نتيجة فعل عاملين: عامل عام مشترك بين جميع العمليات العقلية للفرد الواحد ، وعامل نوعي خاص بكل عملية بالذات. فلكل شخص مقدار ثابت من الاستعداد العقلي العام يؤثر في درجة نجاحه في جميع العمليات العقلية التي يحاولهـا من الادراك الحسي البسيط الى ارقى عمليات التفكير المجرد والابتكار. ولكن هذا الاستعداد العام لا يعمل وحده ، بل يوجد الى جانبه استعداد نوعي لكل عملية. والنجـاح في العملية المعينة يتوقف على الاستعدادين معـاً. فقدرتي على حل مسألة حسابية تتوقف على استعدادي العقلي العام من جهة ، وعلى استعدادي الخاص لحل هذا النوع من المسائل من جهة اخرى. وقدرتي على نظم قصيدة تتوقف على استعدادي العقلي العام من جهة ، وعلى استعدادي النوعي للنظم من الجهة الاخرى. وقدرتي على الرسم المتقن والتذكر البعيد تتوقف كذلك على استعدادي العقلي العام من ناحية وعلى استعدادي لكل من هاتين الناحيتين ايضاً. فقد يكون استعدادي العام عالياً جداً ، ومع ذلك لا اكون بارعـاً في نظم الشعر او رسم المنظر اذا كان استعدادي الخاص لاحدى هاتين الناحيتين ضعيفاً.

والقدرات العقلية ، كالتصور والتخيل والتذكر والاستنباط والادراك والفهم وغيرها، تختلف بدرجة تشبعها بالعامل العام. ويهمنا ان نعرف بالتحديد أي انواع العمليات العقلية اكثر تشبعاً بالعامل العام ولهذا وضع سبيرمان طريقة رياضية دقيقة لاكتشاف درجة تشبع أية عملية به. أي بالعامل العام ، ثم طبقها على مختلف الوظائف العقلية فوصل الى ان اكثرها تشبعاً به العمليات التي تنطوي على استنباط العلاقات، وأقلها تشبعاً به العمليات الحسية او الحركية البسيطة التي تتوقف على عمل مركز خاص من المراكز العصبية.

واستنباط العلاقات والمتعلقات بين الاشياء امر هام جداً في الحياة العقلية. ولذلك يمكن ان نعتبره اصح مقياس لمقدار العامل العام عند الشخص.

وهكذا استطاع سبيرمان اثبات وجود عامل عام مشترك في مختلف القدرات العقلية لا يعمل بمفرده ابداً، بل يوجد الى جانبه في كل عملية عقلية عامل نوعي خاص بها. وهذا العامل العام هو اساس فكرة الذكاء المألوفة. وهو الذي تقيسه المقاييس المعتمد عليها.

المراحل التي مرت بها مقاييس الذكاء

ان شغف الناس منذ القديم بمعرفة ما لغيرهم ممن يختلطون بهم من القوى العقلية والصفات الخلقية، قد دفعهم الى البحث عن علامات ظاهرة يستدلون بها على تلك القوى والصفات. وقد نما علم الفراسة عند العرب، وكان له شأن كبير كما يستدل على ذلك من القصص الكثيرة التي وردت في كتبهم الادبية. وفي القرن الثامن عشر وما بعده اعتمد كثير من علماء النفس على الفراسة في دراسة الجمجمة والوجه، وجعلوها اساس الحكم على ذكاء الانسان وطبيعته الخلقية. ثم جاء العالم الايطالي لومبروزو الاخصائي في علم الاجرام بمباحث جديدة وذكر بأنه يمكن التعرف الى النقص العقلي من التشوهات الجسمية التي تدل على تقهقر وانحطاط. ولكن هذه النظريات والبحوث جميعها لا ينظر اليها اليوم الا كمخلفات تاريخية لا قيمة لها لانها لم تثبت امام التجارب الدقيقة التي أجريت لاختبار صحتها.

وتأتي بعد ذلك مرحلة الاختبارات الحسية والحركية. وقد بدأت سنة ١٨٩٠ عندما وضع «كاتل» استاذ علم النفس في جامعة كولومبيا اختباراته واخذ يجريها على الطلبة الذين يتقدمون للدخول في تلك الجامعة. وتتميز هذه الاختبارات بانها تقيس عمليات اولية بسيطة، كدقة التمييز الحسي، وسرعة الحركة. وابسط مظاهر التذكر. وكانت تستعمل لذلك آلات واجهزة كأجهزة معامل الطبيعة. غير ان نتائج هذه الاختبارات لم تكن لها اية قيمة علمية اذ ظهر ان الارتباط بين الذكاء وبين القدرات التي تقيسها يكاد يكون مفقوداً.

وعقب ذلك مرحلة اختبار العمليات العقلية العليا منفردة. وقد بدأت عندما نشر العالمان الفرنسيان «بينيه وسيمون» في مجلة العالم السيكولوجي مقالاً هاماً انتقدا فيه الاختبارات السابقة، وعابا على اصحابها اهمالهم للعمليات العقلية العليا التي يستعملها الناس في حياتهم العملية، والتي يتوقف عليها في الحقيقة التمييز بين عقليات الافراد كالانتباه والفهم، والخيال والذاكرة والتفكير. وقد ذكرا اختبارات بسيطة يمكن استعمالها لقياس هذه الوظائف، فجعلا لكل وظيفة عدداً من الاختبارات المختلفة. ومعظم هذه الاختبارات لم يكن يتطلب استعمال آلات واجهزة غريبة، وانما كان يتألف من اسئلة يجيب عليها الشخص الذي يراد اختباره. او اعمال يقوم بها، مما لا يختلف عما يصح ان يصادفه في الحياة العادية. وهذه الاختبارات نقلت قياس الذكاء من عالم الوظائف العضوية الى عالم الصفات العقلية المألوفة التي يفهمها المعلم والطبيب والقاضي ورجل العمل. ومن ذلك الوقت اصبح قياس الذكاء الشغل الشاغل «لألفرد بينيه». وظل نحو عشر سنين يبتكر اختبارات متنوعة، ويجرب طرقاً شتى، للتمييز بين الاذكياء والاغبياء من الناس. وكان لابحاثه اكبر الفضل في تنشيط حركة قياس الذكاء في فرنسا والمانيا. فجاءت الاختبارات تترى من كل صوب. واهم ما يستحق الذكر منها اختبارات «بوردون» الفرنسي و«اينجهوس» الانكليزي. وفي سنة ١٩٠٥ نشر بينيه وزميله سيمون مقياسها الجديد المنقح للتمييز بين ذوي العقول العادية وذوي العقول الشاذة دون تحديد طبقة الذكاء. وهذا المقياس يتكوّن من ثلاثين اختباراً متنوعة في موضوعاتها وفي نوع الوظائف العقلية التي تختبرها، ومتدرجة في الصعوبة بحيث تبدأ باختبار يناسب مستوى عقلياً منخفضاً جداً، وتنتهي باختبارات تناسب عقل الشخص الراشد العادي. وفي سنة ١٩٠٨ نشر «بينيه وسيمون» مقياساً جديداً منقحاً يحتوي على ٩٥ سؤالا، بعضها مأخوذ من المقياس الاول وبعضها جديد. واهم ما يمتاز به هذا المقياس ظهور فكرة العمر العقلي فيه. وبذلك توصل العالم الى الوحدة التي كان العلماء ينشدونها في قياس الذكاء. فقد قُسمت الاختبارات الى مجموعات يختص كل عمر بمجموعة منها. فإذا اردنا قياس ذكاء طفل ما، فاننا نعطيه اختبارات كل عمر حتى يصل الى أعلى عمر ينجح في اختباراته، فيؤخذ هذا العمر على انه العمر العقلي له. فاذا نجح الطفل في جميع الاختبارات الى عمر ٨ سنوات مثلًا وأخطأ في الاجابة عن سائر الاختبارات التي تلي ذلك يُعتبر عمره العقلي ٨ سنين مهما يكن عمره الزمني. وقد اثار هذا المقياس الجديد اهتماماً عظيما في كثير من البلدان فترجم الى عدة لغات، وطُبق على تلاميذ المدارس وغيرهم في بلجيكا وانكلترا وايطاليا وسويسرا والمانيا والولايات المتحدة. ومع أن هذا المقياس

تعرّض لنقد مرّ من بعض العلماء لكنه لقي تأييداً كبيراً ايضاً من بعضهم، فشهدوا بقيمته وعظيم فائدته سواء في تشخيص ضعف العقل أم في الحكم على ذكاء الاشخاص العاديين. واخذ كثير من العلماء ينقحونه كي يلائم البيئة الخاصة ببلادهم. واهم التنقيحات التي نشرت له، تنقيح «ترمان» الاستاذ بجامعة «استنفرد» بالولايات المتحدة، ويعرف باسم تنقيح «استنفرد» لمقياس بينيه – سيمون للذكاء. ويستعمل هذا المقياس المنقح في بلاد كثيرة غير الولايات المتحدة. وهو يعتبر الان من افضل مقاييس الذكاء الشائعة وامتاز تعديل «ترمان» بانه اوجد طريقة رياضية لاستخراج نسبة الذكاء وتحديدها بالنسبة للعمر العقلي والزمني. وهي تقسيم العمر العقلي على الزمني وضرب الحاصل بمائة. فاذا تبين لنا ان طفلاً عمره العقلي ١١ سنة وعمره الزمني ١٠ فان نسبة ذكائه تكون:

$$\frac{١١}{١٠} \times ١٠٠ = ١١٠$$

وقد شاع استعمال نسبة الذكاء، واصبحت أهم مصطلحات قياس الذكاء، واشهرها. والجدول الآتي يبين للقاريء درجات الذكاء على اساس هذه النسبة:

اذا كانت نسبة الذكاء اقل من ٧٠ كان الشخص ضعيف العقل واذا كانت من ٧٠ الى ٨٠ كان غبياً. واذا كانت من ٨٠ الى ٩٠ كان دون المتوسط. واذا كانت من ٩٠ الى ١١٠ كان متوسط الذكاء. واذا كانت من ١١٠ الى ١٢٠ كان فوق المتوسط. ومن ١٢٠ الى ١٤٠ ذكياً جداً ومن ١٤٠ فما فوق عبقرياً، كأديسون ونيوتن واينشتين.

وعلى ضوء الانتقادات التي وجهت لمقياس بينيه المنقح انتقلت مقاييس الذكاء الى مرحلتها الاخيرة التي تعرف بمرحلة الاختبارات الحسية العملية. فعني الباحثون بوضع اختبارات لا يطالب المفحوص فيها بالاجابة شفوياً بل يكلف القيام باعمال معينة تتطلب اشتراك اكبر عدد من قدراته العقلية في العمل. ووجدت في هذه المرحلة المقاييس الجمعية اذ ان المقاييس الاولى التي استعرضناها كانت مقاييس فردية تُعطى لكل شخص على انفراد. وهذا الامر يستغرق وقتاً طويلاً فللتغلب على هذه الصعوبة اتجهت الاذهان الى وضع نوع من المقاييس يمكن اجراؤه على جمع من الاشخاص كما تجري الامتحانات المدرسية المألوفة. ومما ادى الى سرعة تحقيق هذه الغاية دخول الولايات المتحدة في الحرب العظمى الماضية سنة ١٩١٧ فقد رأت الحكومة حينئذان تستعين بالعلم الحديث في تنظيم الجيش، فعهدت الى لجنة من علماء النفس بتدبير طرق لقياس القوة العقلية للمجندين حتى يخصص كل منهم للعمل الذي يصلح له. ولم يكن من المستطاع اختبار مئات الالوف من الجنود بمقاييس فردية، فوضعت اللجنة مقياسين جمعيين للذكاء يُعرفان الآن بمقياس «الفا» ومقياس «بيتا» للجيش الامريكي. فأما مقياس «ألفا» فهو لمن يعرفون القراءة والكتابة والاجابة على اختباراته تحريرية. واما مقياس «بيتا» فهو للأميين واختباراته تتألف من صور ورسوم.

وعقب الحرب نشطت حركة قياس الذكاء نشاطاً كبيراً. وظهرت المقاييس الجمعية بوفرة. وسارعت المدارس الى تطبيقها على تلاميذها والشركات ومكاتب الاعمال على موظفيها. ويمكننا القول بان النتائج التي ادى اليها قياس الذكاء قد حققت كثيراً من الآمال التي عقدت عليها.

اما المرحلة الاخيرة التي اصبحت اليوم في شبه استقرار موثوق به فهي ضبط هذه المقاييس وتحقيق اسسها العلمية وتمحيص طرقها وتحسينها وزيادة دقتها في القياس. وقد صحب ذلك تقدم كبير في الطرق الاحصائية اللازمة لفحص نتائج القياس، حتى يمكن القول بان قياس الذكاء قد اوشك ان يكون مبنياً على اسس علمية ثابتة لا سيما بعد ان اخرج سبيرمن مقاييسه الاخيرة وبرهن على انها تقيس الذكاء المجرد الى درجة ٩٨ بالمائة.

هذه اهم المراحل التي مرّت بها مقاييس الذكاء حتى بلغت اليوم حداً كبيراً من الوثوق والصحة يدعو للاعجاب. ولقد كانت التربية الحديثة تساير هذه المقاييس في تطوراتها وتحاول استثمارها والاستفادة منها. وها هي اليوم اكثر مدارس العالم الراقي تطبق هذه المقاييس وتعتمد عليها في تسيير المدارس وحل مشاكل التعليم.

فوائد مقاييس الذكاء

وهنا نتساءل ما هي الفوائد التي يمكن ان تجنيها التربية من مقاييس الذكاء اذا هي طُبقت في المدارس.

الواقع ان هذه الفوائد متعددة نذكر منها:

١) تشخيص الحالات الخاصة كالشذوذ بنوعيه: شذوذ الاغبياء وشذوذ العباقرة.

٢) تقسيم التلاميذ في المدرسة الى صفوف متجانسة على اساس العمر العقلي. وهنا تُحل أعقد مشاكل التعليم. وهي مشكلة الرسوب والتأخر الدراسي. اذ نجد امامنا صفوفاً متقاربة

جداً في درجة استعداداتها العقلية ، لتقبل ما يُلقى عليها.

٣) فصل ضعفاء العقول والموهوبين وتعليم كل منهم تعليماً خاصاً في مدارس تفتح لهذه الغاية. وتعليم الشواذ والموهوبين اليوم من احدث المشاكل التعليمية التي تواجهها التربية.

٤) التوجيه المهني الذي يرمي الى اختيار المهنة الصالحة للشخص على اساس قدرته العقلية.

٥) التنبؤ عن مستقبل الطفل منذ صغره. ذلك لان نسبة ذكائه ثابتة لا تتغير.

فاذا نحن اخذنا ثلاثة اطفال: ا وب وج في عمر زمني متساو هو ست سنوات وعمر عقلي مختلف. فالطفل ا عمره الزمني ٦ سنوات وعمره العقلي اربع سنوات. فنسبة ذكائه على هذا الاساس ٦٦ فهو اذاً متأخر. والطفل ب في سن ٦ سنوات زمنياً و٦ عقلياً. فنسبة ذكائه ١٠٠ وهو متوسط. اما ج فعمره الزمني ٦ سنوات والعقلي ثمانية. فنسبة ذكائه ١٣٥ وهو نجيب متفوق. ولنفرض اننا علمنا اثنين منهما افضل تعليم وتركنا الثالث امياً متشرداً او بالعكس. او سوينا بين ظروف الثلاثة تمام التسوية. فنحن بعد ٥ سنوات أي عندما يبلغ هؤلاء الاطفال الثانية عشرة من عمرهم لو قسنا ذكاءهم لوجدنا نسبة ثابتة لم تتغير. فَ أ يبقى متأخراً في تحصيله وب متوسطاً وج متفوقاً. واعمارهم الزمنية والعقلية بالنسبة نفسها:

١٢ و٨ : و١٢ و١٢ : و١٢و١٦

فاذا نحن عرفنا هذه الحقيقة. وهي ثبوت نسبة الذكاء أمكننا ان نحكم على مستقبل الطفل في سن مبكرة.

٦) ان مقاييس الذكاء تكمل عمل الامتحانات المدرسية فتعطينا فكرة كاملة عن التلميذ من جميع نواحيه.

٧) تكون اساساً لتعديل المناهج الدراسية وسني الدراسة في كل قسم. اذ نقف منها على متوسط ما يجب ان يقضيه التلميذ العادي في المدرسة الابتدائية او الثانوية. وعلى مقدار ما يجب ان يستوعبه من معلومات

٨) تجعلنا نُعنى بايجاد العيادات السيكولوجية الملحقة بوزارة المعارف. وكذلك المكاتب التربوية التي تفتح لاختبار الموظفين اصحاب الكفاآت.

٩) نجعلها اساساً للتعليم الحالي ودخول الجامعات.

١٠) تعيننا على تعرف اسباب اجرام الاحداث وفساد سلوكهم وترشدنا الى افضل السبل في معالجتهم.

١١) تجعلنا نقدر جهود التلاميذ ومدى تعبهم في التحصيل. فنطلب من كل تلميذ ان يعمل حسب ما لديه من ذكاء. فاذا كانت نسبة ذكائه كبيرة ونتائج عمله ضئيلة عرفنا فيه الكسل والتواني وبالعكس.

هذه بعض الفوائد التي يمكن ان تجنيها التربية من تطبيق مقاييس الذكاء في المدارس وجعلها اساساً لحل مشاكل التعليم. وهناك فائدة تتعلق بالمعلم نفسه وبعمله وجهوده. فمقاييس الذكاء تجعل مديري المدارس او المسؤولين عنها يقدرون جهود المدرس تقديراً اقرب الى الصواب. اذ من الخطأ ان يؤاخذ مدرس على عدم تقدم تلاميذه التقدم الكافي وبنسبة غيرهم من التلاميذ قبل ان نستوثق من درجة ذكائهم.

ان مقاييس الذكاء قد عدلت وغيرت كثيراً من نظم تربيتنا وتعليمنا. وصححت اخطاء الاجيال الماضية ، وقلبت النظم القديمة رأساً على عقب ، وهدتنا الى طريق سوي نسلكه في التعليم مراعين تلك الفروق العقلية بين الاطفال ، وسائرين بهم حسب استعداداتهم وأراحت المدرس من مجهود كبير كان يبذله عبثاً قصد تفهيم اطفال ذوي استعدادات مختلفة درساً واحداً ، ونجت اولئك اليائسين المتأخرين تأخراً عقلياً من الشقاء الذي يلازمهم زمن التحصيل.

شفيق نقاش

اعتمدنا في دراسة هذا الموضوع على المراجع الآتية:

١) قياس الذكاء
للاستاذ اسماعيل القباني عميد معهد التربية بمصر

٢) محاضرات في التربية التجريبية
للدكتور عبد العزيز القوصي

٣) محاضرات في علم النفس النظري
للدكتور عبد العزيز القوصي

٤) عقلية الطفل
عدد خاص من مجلة التربية الحديثة : كانون الاول سنة ١٩٣٩

المآخذ الاجنبية :

٥) Les idées modernes sur les enfants
Alfred Binet

٦) L'école sur mesure
Dr E. Claparède

٧) Comment diagnostiquer les aptitudes chez les écoliers
Dr E. Claparède

دموع المرأة

بقلم

السيدة وداد سكاكيني

لله هذا الفيض الالهي العجيب ، تتفجر ينابيعه من أعين البشر لا من عيون الارض التي تنبجس من خلال المدر والحجر أو تنساب في الحدائق والمروج فتنبت الشجر وتعقد الزهر والثمر ، وانما تفيض هذه الينابيع من النواظر والمحاجر ، تثيرها المشاعر الحساسة وتفجرها اللواعج والحسرات ، حتى تنسكب على الخدود كاللؤلؤ المنثور ، وقد تغلو فتنحدر على النحور حتى تبلل المحمل كما زعم الشاعر امرؤ القيس الذي فاضت مدامعه صبابة ووجدا.

والدمع كما أحسه هذا الملك الشاعر عزاء القلب اللاهف والنفس المفجوعة ، ولقد تمناه امرؤ القيس شافياً ومواسياً حين تقاذفته الفلوات والخطوب وحملته على غوارب الغربة والقطيعة ، وأي امرىء خلا حسه من بواعث الكآبة واللوعة التي مهما تقاوى عليها وابقاها مكفوفة مكبوتة فلا بد ان يفلت منه ما يشير اليه بأنه يبكي دمعاً ودماً من قلبه لا من عينيه فإذا مست هذا القلب الشجون وأمضته الآلام تحامل صاحبه على نفسه ، وكأنما انقضت ظهره تكاليف الحياة فيتهاوى على قلبه او يمسكه بيديه خشية ان يطير من هول الهموم وزحمة الرزايا ، واذا عز عليه الصبر واعتراه القنوط ، اخذ يقلب وجوه السلوى والعزاء فلا يرى امامه وجهاً لها ثابتاً مخلصاً فيفزع الى الدموع والزفرات تمده بالفرج والراحة ، ثم يكفكفها ويمسحها حتى تجف وتنضب الا مدامع المنكوبين والمفجوعين وعبرات الوالهات والمثاكيل فإنها لا تنطفي ولا تهدأ ، وما تنتهي او ترقأ على طويل الزمان والتسكاب وإنما تزيدها الايام والآلام غزارة وحرارة ، فكأنها ذوب الارواح الجريحة بل هي لهب الصدور الذي لا يخمد لظاه الا بهمود الاجسام.

امـا دموع المرأة اذا صدقت فهي كالزهرات العاطرات او كقطرات الندى في البكور على الورد والريحان ، ومن حق الادب ان يلم بها واصفاً وان يتحدث عنها مترجماً وكاشفاً ، وسامح الله الشعراء فهم الذين سكبوا من الدموع اكثر مما سكبت النساء ، حتى لا تكاد تجد واحداً منهم سواء كان عربياً أم اجنبياً قد خلا شعره من ادمع ونحيب وقد يستثيرنا الرفق والعجب لو ان هؤلاء النواحين المتشاعرين او الذين تسميهم المجاملة شعراء قد صدقوا بشعورهم او دهمتهم كآبة في حياتهم وخيبة لكانت لهم عندنا معاذير ، ولكننا نجدهم بكائين بمنظومهم شاكين فيه بثاً موهوماً او همّاً مقيماً وهم الناعمون المترفون في معيشتهم ، المستقرون في مراتبهم ، يقولون بنظيمهم ما ليس في قلوبهم ، وبحسبي ان اجد لبعض الصادقين في شعرهم الدميع عذراً قد لا يكون جميلاً او مقبولاً ، وهو ان نفوسهم الرهيفة الشفافة وطبائعهم الناعمة الوديعة شبيهة بشعور النساء وامزجتهن الرقيقة اللطيفة ، ولا تثريب على بعضهم ممن عبثت بهم الفجـائع

والنكبات ، فلو صفت الحياة وضحكت للشاعر لامرتين وطابت لنده موسيه لما فاضت منها الدموع بتباريح جرازييلا وحسرات رفائيل ، ولما كان في شهور القطيعة والاسى ليالي الفريد الخالدة .

على ان دموع المرأة فرجة من همها وألمها وراحة لروحهـــا المرهفة ، ومن ذا الذي لم يستشف امرأة تغرغرت عيناها بالدموع او أمسكتهـــا بين الجفون ثم سالت كاوية أو شافية ؟ الا ان البكاء والنساء صنوان ، ولقد بكين من يوم حواء ، وما أقرب بكاء المرأة اليها وما احناه عليهـــا فليس بينها وبينه حجاب ولا حساب ، انها تبكي طفلة وعجوزاً وتبكي غنية وفقيرة ، تبكي اذا تألمت او أثمت ، وتبكي اذا زلت ثم ندمت ، وتدمع من فرط السرور واهتياج الشعور وتستجيب لها المدامع اذا حم عندها فراق او خاب لها رجاء ، وتجد في نفسها من سرعة البكاء وسهولته ما تجده من افترار البسمات على شفتيهـــا وتسلل الضحكات الى فمها وذلك لرقة قلبها ورهافة حسها ونعومة مزاجها .

ولقد كانت المرأة العربية اذا تجهم لها الزمان وامضتها الاحزان فاض دمعهـــا شعراً تقوله عفو الخاطر وعلى سجية الطبع والالهـــام ، حتى بذت الرجال في صدق الرثاء ، وكم فيهم شعراء يتكلفون المراثي ويصطنعون المآسي للنباهة والظهور وقديماً استهزأ المتهكمون بالمرأة وعيروها بالنوح والبكاء حيناً صادقة وحيناً كاذبة وقالوا ان الدموع سلاح المرأة ، ولنعم السلاح هذا فهو لا يسفك دماً ولا يدمر بيتاً أو ليس له الغلاب عليهم احياناً؟ ولئن عده الرجال سلاح الضعفاء فان الخالق أعده للنساء لتتم به انوثتهن وخصائصهن وبدونه يكنّ قاسيات القلوب نابيـــات الطبع والشعور وكان المتنبي من هؤلاء المستهزئين المعيرين بالحصول من السلاح على البكاء ، وكأنه كتب على نفسه اشفاقنا عليه حين جاءه العيد وكان كالشريد لا حبيب عنـــده يرق لنجواه فبكى في شعره وشكا ، وعلى طرف النقيض من أبي الطيب كان الشاعر ولي الدين يكن يفدي المرأة وينافح عنها ويغالي بدموعهـــا ، ولما كتب روايته التمثيلية عن عهد من عهود الاستبداد جعل « هجران » تبكي في حضرة مولاها لتستدر رحمته بعد ان أحرقت ستور قصره لتثأر منه وتنال ، فعلمت ان ساعة هلاكها قد اقتربت اذ صرخ فيها :

— لا تخدعيني بهذه الدموع فلكم خدعت بها سفيراً !

ولكم بكى رجال بدموع التماسيح فنسجوا من حباتها خدعاً وأحابيل وغرروا بها غفلاً وغرائر وهي لعمري شبيهة بدموع النوادب المستأجرات والمرائيات الخبيثات ، فأفسد المخاوق ذكراً او انثى أغلى فيض حفرت نبعتيه يد الخالق في رأس الانسان وأودعتها من اسرار الحياة ما أعيا البيان ، فإنه ليس في الوجود اروع من دمعة صادقة هي افصح في صمتهـــا من شقشقة الكلام وبلاغة اللسان ، ولرب عبرة حائرة اذا فاضت بها الاحزان والآلام تكاد تكون كاوية للاجسام لو قدر لها ان تكشف عن حقيقتها وسر لهفتها ولا ادعو المرأة وانا اتحدث عن دموعهـــا لان تبرع وتغلو في تسكابها في كل ما عز وهان وان تزيد في عبوس الدنيا كآبة وجهامة وهي المخلوقة للانس والسلوى والمواساة والتخفيف عن مواجع الحياة ، فعليها ان تحفظ دمعها غالياً لمشاهد البؤس والحرمان ومواقف البر والحنـــان ، فاذا ألمت بيتيم او محروم أعرب دمعها عن الرحمة لها وهزها الاحسان والصدقات ولئن كذبت الدموع واختلطت شؤونها وشجونها تبين فيها من بكى ممن تباكى ، غير ان هنالك امرأة عبرى مرت في دنيا العرب ولم ينجب الدهر مثلها وسوف تبقى دموعها برهاناً على صدق شعورها ، تلك هي الخنساء شاعرة البكاء التي بللت شعرها بالدمع الصبيب ، وستبقى هذه الوالهة في تاريخ الادب وعلى فم الزمان مثلاً شروداً على الصدق والحنان في دموع المرأة .

وداد سكاكيني — دمشق

ضلال

أجودُ بما تبخلين ، وبي منكِ ما تعلمينْ
ويأبى الهوى ان اضيء سراجيَ للجاحدينْ
دعيني ، فما عدتُ اؤمنُ ، بعدُ ، بما تدّعينْ
كفرتُ ، ويا حبذا الكفرُ ان قادني لليقينْ
توهّمتُ قبلاً بما انتِ وما كنت لي تضمرين
فكوّمت في دربك الورد والزهر والياسمين
دعيني ، فما انا ممن يُغرّ بما تظهرينْ
أنا غير ما قيل عني ، وفوق الذي تعرفين
أقصّ جناحيّ ان حلّقا بي الى ما يهينْ
والحرُ حيّ اذا كان ألعوبة العابثين
ولي عزّةٌ إنْ تمسّ فديتُ لها العالمين

دعيني ولا تذكري الامسِ ، فالامس للمخلصينْ
وأنتِ كما انتِ رهنٌ لاِءاءةِ الراغبينْ
جمالكِ وهمٌ ، ودنياكِ مقبرةُ العاشقين
وبئس الفتون ، فتونٌ تبذّل للمعجبين
دعيني ، وبئس الهوى إن تنكّر للمؤمنينْ

يوسف الخال

معجم الالفاظ العامية العربية والدخيلة

بقلم عيسى اسكندر المعلوف
عضو المجامع العلمية في مصر وسوريا والبرازيل

✱

توطئة

هو معجم كبير الحجم لا يزال مخطوطاً رتبت فيه الالفاظ العامية في سورية ولبنان على حروف الهجاء ووضعتُ لها ما يقابلها من فصيح اللغة واوضاعها ومعرباتها صرفت على وضعه نحو نصف قرن فجاء في مجلدين او اكثر تحرّيت فيه ما يهدي المطالع الى اصول الالفاظ وتحريفها او تصحيفها وتقريبها على قدر ما وصلت اليه يد الطاقة مشيراً الى المراجع التي اعتمدت عليها والى الذين عربوا الالفاظ او وضعوها ونشرتُ منه بعض امثلة في بعض الصحف مجلات وجرائد وهذه بعض امثلة منه الآن:

حرف الالف

ارتخى الخيط ونحوه : اذا انحلّ

ارتخى العجين : فصيحه رخّ أي كثر ماؤه ورخف وأرخفه اكثر ماءه.

ارطنسيا : زهرة يابانية اهداها احد القواد الى هورتنس Hortance ابنة الامبراطورة جوزفين زوجة الامبراطور نابوليون من زوجها الاول الكونت اسكندر دي بوهرنيه — كان نابوليون يحبها وزوّجها وهي بسن ١٩ سنة الى شقيقه لوليس الذي صار بعدئذ ملك هولندة. وكان من هذا الزواج ثلاثة اولاد لم يعش سوى اصغرهم وهو نابوليون الثالث ملك فرنسا — فاعتنت هورتنس بهذه الزهرة فنسبت اليها.

ارملة مزوجة ولها اولاد من زوجها الاول : الآفوت وهي المرأة لها زوج وولد من غيره فهي تلتف الى ولدها عنه.

أرطه : تحريف (أورْدو) التركية بمعنى (جماعة). وهي من العسكر (ثُلّة) و(كتيبة) و(فيلق) — ويحرفونها بكلمة (عُرضي).

اشترى قرية وقعد فيها : اكتفر الرجل اتخذ لنفسه قرية واقام فيها — وتديرها — وتوطن فيها.

اشقوان : نوع من الجبن يتخذ قوالب مستديرة وهو غير الجبن العادي المحوّل من الحليب الى الجبن بالانفحة (المجبنة). وغير الجبن القبرصي الذي يكون مستديراً كالكرة وخارجه احمر. ولعل كلمة اشقوان محرّفة عن اسمه اليوناني (كاشكافالي) باللغة الدارجة واما الاسم القديم فهو (تيروس).

أشْكين : والبعض يقولون (اشكيم) كلمة تركية صفة لمشي الخيل ومعناها سرعة المشي او الهملجة (الرَهْوَنة). ولعلها من (اسكيم) اليونانية بمعنى (هيأة) وتقول العامة عند الشتم (شوها الاسكيم) أي شيء هذا الاسكيم.

أفصل الميت : اذا خرجت روحه من جسده — وفي اللغة الفصحى افصل المولود اذا حان له ان يُفطم — واما الميت فيقال: نزع ولفظ روحه.

هذا أكل بيسقي : أي هذا اكل يشرب وراءه المرء كثيراً فصيحه هذا طعام مَسْفَهَة أي يبعث على كثرة الشرب ومثلها طعام مَشْرَبَة.

أفندي : تركية بمعنى مولى وسيد اصلها يونانية باللغة الحديثة Afentis وباللغة القديمة Audentis بمعنى السيد المطلق. لان يوناني القسطنطينية كانوا يلقبون افراد العيلة المالكة مفتتحة بلادهم بالاسياد فنقلها الاتراك واخذها العرب عنهم. وصارت نعتاً للعلماء العظام والقضاة ثم عم استعمالها لاهل العلم. وصارت في الجندية التركية تعطى للرتب العسكرية التي هي تحت (قائم المقام) الى (الملازم).

اكلنا البرغش او البعوض : فصيحها بعضنا اذا آذانا

البعوض.

ألْوَق : تقول العامة عود (ألْوَقْ) وعصا (لَوْقا) اذا كانا غير مستقيمين أي معوجين فلعلها من كلمة (لوقه) التركية بمعنى غير متناسب.

ألاجيا : نسيج ملوّن معروف من التركية (آلاجَه) بمعنى أبلق ومتلون وأبرش ومنقوش.

امنيبوس : اعجمية لعجلة معروفة وضع لها الشيخ احمد فارس الشدياق كلمة (حافلة) واليوم نستعملها لعجلات الترامواي.

انكل عليه : اذا استهزأ به وأنكل فارسية بمعنى الرجل المستكره الصحبة المستهجن الالفاظ اخذها الاتراك ونقلها العرب عنهم ويقولون العنكل ومنها تقول عامتنا تعنكر واذعنكر أي افتخر بنفسه قال الشاعر:

قد اذعنكرت بالسوء والفحش والاذى
اسياء كاذعنكار سعلى على عمرو

اوتومُبيل : من (افتوس) اليونانية ضمير الغـائب (هو) و(موبيل) باللاتينية بمعنى (قابل للتحرك) بمعنى المتحرك من ذاته وضع له احمدزكي باشا المصري كلمة (سيّارة).

أوَنْطا او قوَنْطا : كلمة ايطالية Avante بمعنى(قدام) أي أخذ شيء مقدماً قبل استحقاقه نستعملها بمعنى مصادرة وحيلة ومنها الفعل أوَنْطَهُ او قوَنْطَهُ اذا اخذ منه شيئاً بالحيلة والمكر فهو (اونطجي) و(عونطجي) بمعنى محتال ويختصرها بعض العامة فيقولون (عونجي) و(عوانه) اذا كان يحتال على غيره ويراقب اعماله.

أيوَه : كأنهـا منحوتة من (إي والله) فتفيد معنى نعم للتأكيد وهي في القسم خاصة كما ان هل بمعنى قد في الاستفهـام خاصة — قال الزمخشري في الكشاف: « سمعتم في التصديق يقولون (إيوَه) فيصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده ».

حرف الباء

باسَ : بمعنى قبّل قيل انهـا من (بوسيدن) الفارسية اي قبّل — قال محمد بن محمد شهاب الدين بن مرداش وصحب الملك المنصور الجماه وهو دمشقي:

ولما اشارت بالبنـان وودعت
وقد اظهرت للكاشحين تشهّدا
طفقنا (نبوس) الارض نوهم اننا
نصلي الضحى خوفاً عليها من العدى

باستون : ايطالية Bastone نوع من العصا.

باع بالوعدة : أي اجّل دفع الثمن فصيحها نسأه البيع وفي البيع باعه واخر له دفع الثمن. واستنسأ غريمه سأله ان ينسئه دينه أي يؤخر له ميعاد دفعه.

بالوظه : فارسيتها بالوزه او بالوده فعربهـا العرب بكلمة (فالوذج) وهي طعام من الدبس او السكر مع النشا والدقيق.

بِرْداخ : فارسيتها (بَرْداخ) بمعنى جلاء وصقل والجلاّء والصقّال (البرداخجي) والفعل بردخ أي صقل وفصيحها (سَفَنَ) اي قشر والسفَن ورق الزجاج المصقل.

البرْزان : اصله بالتركية (بوريزنّ) او (بوروزن) وهو بوق كبير او نفير ينفخ فيه.

برشت : يقولون (بيض برشت) وهي تحريف (نيمْ برشت) اي نصف مشوي بالفارسية قال معاوية بن ابي سفيان: لو كان عدوي بيض نيم برشت لحسوته حسوا.

بُرغُل : تركيتها (بُلغُور) اي جريش البر المسلوق ويقول الاتراك (بورغول) ايضاً. ولا وجه للقول انهـا من قولهم (برّغلي).

بنديرة : ايطالية بمعنى راية او علَم.

بنطلون : ايطالية للبـاس المعروف الذي كان القديس (بنطلوني) يلبسه فنسب اليه. وهو لباس او سروال (وهذه فارسية).

بوده : لاتينية بمعنى غبار ونباغ وهي (التطرية) و(الدهان).

بيّادة : تركية بمعنى الجندي الراجل والماشي ضد الفارس ويسمونها (الخيّاله).

بيش : هو حفرة للفسيلة لتغرس فيها فصيحها (الفقير) وفقّر الفسيلة حفر لها حفرة لغرسها والعامة تقول بيّش.

البيّابة : في الحوض ونحوه ثقب لخروج الماء منه. فصيحه (البثق) وهو منبعث الماء من انبعث الماء اذا انفجر.

البتنجان : الباذنجان فارسية بمعنى (مناقير الجن) وقيل من السريانية بمعنى (ابن الجنينة) وهو بالتركية (باطاجان) وبالكردية (باجان). وهو ثمر نبات معروف عندنا شائع استعماله بيننا.

(انتهى ما انتخبته من صفحات كثيرة تعد بالمئات كانموذج من هذا المعجم باختصار التعابير والشروح).

عيسى اسكندر المعلوف

وداعاً ... يا كتبي!

« مهداة الى كل من تنويهم هذه السوداء »

بقلم
خليل هنداوي
استاذ الادب العربي
في تجهيز حلب

ايتها السطور السوداء الزاحفة في مسارب كالفجر، والذاهبة بغلائل كالليل! بماذا تعطرين اذيالك؟ واي سحر تودعين عيونك المشقوقة كعيون البرق؟

عشاقك لاينظرون اليك الا لمحاً، فيهجرون مواطنهم، ويهرعون حفاة عراة الى المنزل الذي انت فيه.

يحاولون ان يروك، وان يشموك ايتها السوداء!

●

انك نفاذة العين، جوادة بالشعاع، ينطوي قلبك على الاشواق الحادة، لا يشبعك وصال، ولا يرويك شراب. احشاؤك تصفق لاحشاء، ونهمك الذي لا يشبع ينادي قلباً خائراً...

أف لهذه الاشواق المتحطمة على بابك... الا ترويك ايتها السوداء؟

●

كم من خيوط وحبائل نصبتها حولي! وكم من قبل أفرغتها على جبيني وتحتها لسعات الافاعي! وكم شدة فيها لذة وارتخاء، وددت لو انها شدة اللحود! قلباً بائساً أغريت! وعيناً صافية ناديت! وليالي ممدودة أسهدت! كلما زاد محبك ملأ زدته أملا..

فيا ايتها الاغنية التي لا تنقطع أما لك انتهاء؟.

ومتى يزول عني سحرك ايتهاء السوداء!

●

هنالك أناس ادعوا حبــك، فصفوك على الرفوف، وكسوك الشفوف... حبهم ملق، وشوقهم ادعاء. ولكن اين حبهم من حبنا الملتهب الذي يأكل احشاءنا، ويطفيء عيوننا، ويغمر وجودنا، حيث لا نسمع الا نداءك، ولا نرعى الا خيــالك. على حدودك مدى دنيانا العجيبة، وفي اذيالك انفاس الحيــاة، فازيحي نقابك الكاذب عن وجهك اللعين ايتها السوداء!

لا ادري كيف علقتك صغيراً، واثبت الحب حب الصغر. ولكني اذكر يوم المنهبة الكبرى، كان اخلائي الصغار يتهافتون على اشياء واشياء... وكأن العمى كحل عيني فلم اعــد ارى شيئاً امامي... لم اعد ارى الا كتاباً... كان في ناظري سحر الكون الاكبر، كان كل شيء! خطفته وعدت على آثاري انظر الى الوراء كأن يدك ايتها السوداء تمسح جبيني. وانا لا اسمع صدى قهقهات الكتاب الذين ظننت انني سارق له. ثم بعد حين يغــدو السارق مسروقاً.

نعم! لقد سرق الكتاب مالي وعنائي، واستبد بجهــادي في الحياة، واستل قلبي الذي طار بلا جناح.

وما هي الا برهة من الزمن حتى اخذت الكتب تتوافد علي زائرة في ليل وفي نهار! تجلس في حجري متيقظاً، وتنام على مضجعي هاجعاً، وتعانقني الوصال الملتهب، وانا اذوب نفساً نفساً، وأخمد شرارة شرارة. حتى اذا انتهى الحلم ونفضت يدي منه لم اجد إلا كوماً مصفوفة حولي. كلها عيون فاترة، ووجوه صفراء، وملامح عابسة. فلم أفق بعيوني، فدنوت منها ولمستها وحاولت ان اقع على مواقع حسنها.

ألا اين عينها النفاذة؟ وأين قلبها الخفاق بالاشواق؟

أضحكت مني ايتها السوداء كما ضحكت من غيري؟

وها انا اصحو ولكن بعد ان جنح العمر، وأصبحت روحي اسيرة حبائلك.

انني اصحو فاخرجي ايتها الملعونة الرجيمة!

انني اراك لا ترف لك عين، ولا تنحني لك هامة.

هنيئاً لك ما أكلته من جبيني وقلبي. وطوبى لك خديعتك التي طوت عمري.

لقد امتدت يدك الى كل شيء في نفسي، ولكني سأقدر على الانتقام منك في اللحظة الاخيرة، لاني سأسرق نقابك الموهوم،

واخرجك عارية في الشمس الضاحية، لان عريك وحده يشفي ألمي ويروي حقدي!

•

يدي التي رفعت هذه الكتب الى مدارجها، هي اليد التي تسقطها اليوم عن عروشها، وتشحنها في توابيت الى بائعي الكتب لتكون غنيمة باردة يتهافت عليها عشاق كثيرون!

— أنقذوني منها ايها البائعون بأي ثمن! ألا ترون ضغط أيديها على عنقي؟

ان ما بها من وساوس مفتراة كاد يستنفد بقية تفكيري! آراء كاذبة، واوهام خادعة، ومثل عليا لا يؤمن بها اصحابها. وعوالم فسيحة باردة! وتصوير غيرحقيقي للحياة. آمنا بها فلم نصب شيئاً. واعتقدنا برسالتها فلم نجن الا الفاقة والالم. وحاولنا ان نعيش بالعقل فوجدنا انفسنا غرباء! وطلبنا كسرة الخبز بها فاذا هي لا تساوي رغيفاً. وفصلنا بها رداء نلبسه فاذا هو خرقة مهلهلة! ألا أية بركة فيك ايها العالم المقدس الذي ادخله جائعاً عارياً؟ أتريدون ان نبارك جوعنا وعرينا ايها الخادعون؟

•

كتبي اجمعها وعيني تشيع اصحابها. لقد كنت اول المؤمنين بها وها انا اول الكافرين! لماذا اريد ان تبقى معي؟ ألترى شعاع عيني ينطفىء على تجاعيد وجهها الاصفر؟ وترى قلبي يرقص الرقصة الاخيرة على صدرها الخاوي؟

اذهبي عني الى غيري، واستجدي شباباً جديداً، وعيوناً جديدة وقوة جديدة. فقد انهكني حبك، وأطفأ سهدي الطويل عيوني.

وهناك خلف جدران المدارس ارواح فتية، اذا لوحت لها بظلالك رنت اليك، واذا طلعت عليها حنت عليك. لا يزال في عيونها بريق يتدفق. وفي صدورها افئدة تتشوق. فاجذبيها بجمالك ومصي لحمها وقاوبها. اما انا فاتركي لي هذا السؤر في الاناء، ودعيني اطوي حياتي على غير اذيالك ايتها السوداء!

•

لقد انتهيت من عشرتك يا ذوات السطور السود! يا لابسة الحداد على عشاقها! يا آكلة لحومهم ويا راشفة دماءهم! اذهبي عني واحملي معك وجوها طالما احببتها وناجيتها في ليالي العزلة. هؤلاء وجوه الادباء والعلماء ممن ابدعوك لتنطوي عليهم، واطعموك قلوبهم وعيونهم لتسخري منهم جميعاً!

فأي شيء نولتهم في حياتهم! وأي شيء اقرّ مضاجعهم منك بعد مماتهم؟

لقد ازعجني الصدق في مثلي الاعلى، ولكني لم اجد رابحاً الا من يتاجر في هذا المثل الاعلى. فلماذا لم تعلميني الكذب والخيانة؟

كنت اقول: «اريد ان اقرأ، اريد ان افكر»! ولكني اقول الآن: اريد ان اعيش، اريد ان آكل، اريد ان ألبس» اما المثل الاعلى فآخر شيء افكر فيه اذا حان اوان التفكير فيه!

حتى الغاية التي تخدمينها دخلها الغش والخديعة، فاصبحت العبقرية الموهوبة مضطهدة ذليلة، واصبحت انت ككل شيء من اشياء هذه المادة تنال بالغش والخديعة. فدعيني اكذب واخدع، فالكذب والخداع امران واجبان اذا كانا للحياة!

•

اذهبي ايتها السوداء! وهنيئاً لك ما منحتك من دمي وحياتي! واذا قدر لنا لقاء فليكن لقاء مادياً كاذباً خادعاً — من اجل شهادة انام عليها — ومن بعد ذلك فراق الى غير ميعاد.

خليل هنداوي — حلب

الفكاهة في التاريخ

بقلم شفيق طباره

الغرض من هذا البحث تقديم صورة موجزة عن نشؤ الفكاهة ونموها وتدرجها في الرقي منذ اقدم الازمنة الى عصرنا الحاضر. فنحن اذا ألقينا نظرة عامة على الامم العريقة في القدم — كالهنود والمصريين والفينيقيين — وجدنا انه لم يصل الينا منهم آثار ادبية كافية نستطيع ان نعتمد عليها في تعرف كيف كان اهتمامهم بالفكاهة في هاتيك العصور لذلك ظل تاريخ هذه الامم غامضاً من هذه الناحية الا ما كان له علاقة بالعلوم الدينية والصناعات.

يقول افلاطون: « ان ميزة اليونان الحكمة والادب وحب البحث اما ميزة المصريين والفينيقيين فحب الكسب » ونوّه بما لهم من مقدرة في التجارة والصناعة وحذق في النظم السياسية ولكن لم يعترف لهم بشيء من ذلك في الفلسفة والآداب.

وسواء صح هذا او لم يصح فالفكاهة ولا ريب اهم مصادر الضحك وهي ظاهرة طبيعية ومزية انسانية وجزء روحي من كل انسان. ونحن نرى ان وجودها اثر لوجود الانسان نفسه. فكما انه ليس من الممكن ان نعرف الفرد الذي احدث لغة من اللغات كذلك حال الفكاهة لا يعرف لها اولية. ثم ان الظرف ليس وقفاً على شعب دون آخر. فكل امة فيها ظرفاؤها مهما رقيت ومهما انحطت والانسان الذي عاش منذ اقدم الازمنة كان يهزل ويضحك انما الفكاهة قويت وضعفت بنسبة الرقي العقلي للامة. والعوامل المؤثرة فيها. واذا رجعنا الى التاريخ نستقصي الفكاهة وجدنا ان معرفة الناس بها يرجع الى ابعد عصور التاريخ واحسب انها نشأت في الهند ثم هاجرت منها الى بلاد فارس ثم ظهرت بين اليونان والرومان ورحلت الى بلاد العرب حيث استقر بها النوى في اقطار الغرب وفي كل مرحلة من هذه المراحل كانت تظهر في اشكال مختلفة وتصطبغ بصبغة البيئة والجنس حتى انتهت الى حيث هي الآن.

فمعرفتنا نحن اذاً بالفكاهة ترجع الى صدر الاسلام اذ وصل الى المسلمين في العصور الاولى الاسلامية كتب فارسية كثيرة منها علمنا ولوع الفرس بهذا النوع من الادب الذي ما كان يتجاوز عندهم الحكايات الحلوة والنوادر الرائعة وكانوا يتنادرون بها لمحض التسلية والعبرة في مجالس لهوهم ويتسابق الادباء للظهور فيها ونيل الحظوة.

واظهر مميزات النوادر الفارسية كثرة ما بها من الحكم والمواعظ التي تدور على الاخلاق والتعاليم الدينية منها ما هو مبتكر من عند انفسهم او منقول عن الهند اقتبسها الفرس من قديم عندما اتصلوا بالثقافة الهندية قبل الفتح الاسلامي. اما اليونان فيمتازون عن الفرس بانهم نحوا في الفكاهة منحى جديداً لم يألفه الفرس في ادابهم من قبل ذلك انهم بحثوا في الفكاهة — وغايتهم الادب للادب — بحثاً علمياً منظماً ووضعوا لها قواعد واصولا. وكان اول من عنى بذلك (ارسطو) وتدين الفكاهة لهذا الفيلسوف لانه ادى لها خدمة كبرى بانه وضع علوماً جديدة رفعت من شأنها وجعلتها بصاف الفنون.

وضع (ارسطو) علم المنطق وعلم الجمال وعقد فصولا قيمة في الفن كلها من خلقه وانشائه فعلم المنطق علّم الناس التفكير الصحيح وعلم الجمال الذي هو فرع من فروع علم النفس اطلعهم على قوى الاحساس والشعور واللذة والفرح وكل ما له مساس بالعواطف. اما الفن فربى اذواق الناس وعرفهم ما المأساة وما المهزلة. وابان اصول المأساة واحكام المهزلة وما الى ذلك من البحوث الراقية والدراسات المنظمة التي لها اتصال بالفكاهة باعتبار انها علم وادب وفن.

وفوق هذا فان (ارسطو) اول من استلفت نظره موضوع الضحك فبحث فيه وفي عوارضه ووضع له نظريات علمية لا تخلو من صواب واتخذت الفكاهة بين اليونان شكلاً جديداً ما عرف من قبل. ذلك هو شكل الرواية التمثيلية بالمعنى الذي نفهمه من كلمة (مهزلة) فان المعروف الشائع من قبل انما كانت نوادر الظرفاء والبخلاء والمعتوهين وما اليهم. ومنشأ الروايات الهزلية التي حلت محل النوادر عند الاغريق ذلك التهريج الذي كان يستبيحه الشعب الاغريقي لنفسه في مواسم الاعياد كما هي الحال في (مواكب باخوس) مثلاً. فاول من انتهى الينا انه عالج الفكاهة بينهم في رواياته التمثيلية (ارستوفان) فوضع ٥٢ مهزلة تقدم بالاولى للمباراة في الشعر الهزلي سنة ٤٢٧ ق.م. وبقي من كوميدياته احدى عشرة تميزت بكثرة النقد ومرارة الهزل وتصوير الاخلاق العامة.

واترك للقارىء تقدير ما لكل هذا من فضل على الادب وتأثير في ترقية الفن.

ولما خرج العرب من محيط جزيرتهم اتصلوا بالثقافتين اليونانية والفارسية فتذوقوا — على الازيد — اداب الفرس. وتثقفوا بها واقتبسوا منها النوادر والحكايات لانها اقرب الى مزاجهم العقلي.

فالعقل العربي كان يومذاك طفلاً يفضل النوادر يرددها ويتلهى بها قبل ان يميل الى التعمق في معرفة الضحك والتفلسف في الاسباب الباعثة عليه . ونستطيع ان نقول ان الذوق العربي ظل – في الفكاهة – يشابه الذوق الفارسي مشابهة تامة من القديم الى العصر الحديث. وحسبك دليلاً انك تفتش على عربي بين صفوف الكتاب بحث في الضحك بحثاً منظماً او حلل غرائز النفس تحليلاً دقيقاً على النسق اليوناني فلا تجد. فانت اذا قلت الجاحظ فالجاحظ كتب في الضحك فصلاً موجزاً فغلب على ما كتبه الطابع الادبي الذي يمتاز به هذا الاديب الكبير. اضف الى ذلك ان جل ما انتجته قرائح العرب في مختلف عصورهم في هذا الفن ينحبس – على النمط الفارسي – في نوادر الظرفاء ولا يتعداها.

فلو ان العرب نقلوا في عصر المأمون الشعر الفكاهي او الروايات الهزلية في الادبين اليوناني والروماني كما نقلوا العلم والحكمة لكان من المحتمل ان يلجأ ادباء العرب المشهورون بالظرف الى تقليدهم وان يوفوا الفكاهة حقها ولسدوا في الادب العربي نقصاً ما برأ منه حتى اليوم.

ولما دالت دولة اليونان واصبحت البلاد اقليماً رومانياً ضعفت آدابهم ولكن ظل اهم ما وصلوا اليه محفوظاً يتغذى به الرومان على نحو ما كان بين العرب والفرس بيد ان الرومان لم يهملوا الفكاهة بل اعتنوا بها ونبغ فيها الشاعران (بلوت) و(تيرانس) وامتاز الاخير بدقة الملاحظة والنكات القاسية.

واذا انتقلنا الى القرون الوسطى رأينا انها كانت عصوراً مظلمة هجر الناس فيها الفكاهة ولم ترد عما كان معروفاً من قبل كأنما اصاب الدهر سنة من النوم في تلك العصور. ففي الشرق انطفأ مصباح الآداب طوال العصر التركي (اربعمائة سنة) وفي الغرب سيطر الدين على العقول وحرم الناس كل دراسة لا تمت الى الدين بسبب وثيق. ولم يدب من الفكاهة دبيب الحياة في اوروبا الا في القرن السادس عشر فعادت الى الظهور في ثوب الملاهي الاغريقية والرومانية غير انها كانت مصبوغة باللون الحديث مطبوعة بطابع البيئة وما زالت تتردد بين الكساد والرواج وتترجح بين الهبوط والصعود حتى عصر النهضة عندما استيقظ الغرب من سباته وتطلع الى علوم الرومان واليونان وفنونهم فاغترف منها وزاد فيها ثم بنى عليها صرح ادبه الفكاهي الحديث.

واول من عالج الفكاهة في رواياته التمثيلية بفرنسا في عصر النهضة (رابليه) وفي انكلترا (شكسبير) وفي اسبانيا (سيرفنتس) ومر القرن السابع عشر ولم يشتهر في الفكاهة غير (موليير) فاقرها في نصابها وعالجها نظماً ونثراً في ملاهيه المجونية. ثم اعقبه (رينار) وملأ رواياته بالنكات المضحكة. ولما جاء القرن الثامن عشر ظهر (لساج) و(بومارشيه) واحدث انتشار العلم يومئذ نوعاً من القصص الخيالية جمع بين الموضوعات الهزلية في القالب الجد. وكان منشأه في انكلترا ثم انتقل الى الامم الاخرى بالاحتذاء. واول من خلق النوع الطريف من الادب الذي نسميه (الهومور) نقلاً عن الاجانب (سويفت) وحذا حذوه (سترن) ثم جاء القرن التاسع عشر فزاد الاقبال على الفكاهة ونبغ في هذا الفن الجميل طائفة من الكتاب تخصصوا لهذا الفن وذاعت شهرتهم في جميع انحاء العالم. وفي مقدمة هؤلاء (تاكيري) و(ديكنز) في انكلترا و(كورتالين) و(هوفمان) في المانيا و(مارك توين) في اميركا. وظل هذا الفن يتقدم مع الزمن ويتطور مع اهله ونظمه حتى بلغ بعد حرب (١٩١٤ – ١٩١٨) ارقى مستواه واصبح عدد الادباء الفكاهيين في وقتنا الحاضر لا يقع تحت حصر. واكثرهم ما زالوا يؤلفون ويرزقون.

وهكذا سلك الغربيون بالفكاهة مسالك التنوع والتجديد حتى دخلت في كل شيء يمكن ان يفكر فيه الانسان او يشعر به فاصبحت قراءتها لا للهو والتسلية ولا مقصورة على النوادر ولا على الروايات الهزلية ولا القصص المجونية بل اخذت تشمل نواحي الفن وتدخل في مختلف الموضوعات وفي كل لون من الوان الحياة.

وبينما كانت الفكاهة تتطور في اوروبا كان العرب في سبات عميق حتى اذا كان القرن التاسع عشر انتبهوا فوجدوا ادبهم دون الادب الغربي في هذه الناحية مع توفر مميزاته الخاصة وعراقته وحداثة الادب الغربي بالنسبة اليه فهبوا يسايرون المدنية الغربية ويدفعون بادبهم في مجال الآداب الحية واذا قابلنا اليوم ما لدينا منه بتاريخ الفكاهيين المعاصرين في اوروبا فلا يصح ان نصور ادبنا الفكاهي باقوى من فتى في ريعان الفتوة يجد السير ويسرع الخطى ليلحق بجبار قوي العضلات.

هذا موجز ما اتى على الفكاهة من الاطوار في التاريخ واعتقد ان فيه من المعلومات ما يفتح ابواباً للبحث ما زالت مغلقة ويمهد للادباء الذين تهمهم الفكاهة سبل التبسط في هذه الموضوعات سداً لنقص البيان العربي في هذا الباب.

شفيق طباره

... يوم أمسكت بيدي « الواحة » للمرة الاولى أحسست أن يدي تغرق في حقبة من اللحم والدم انتقلت من فجر الصبا الى جحيم الورق والحروف ، وهي باقية تنغر وتتكلم وتخطب وتبث وتبكي ، فلذة مني لا احمدها ولا انكرها ، فهي هكذا قطعة من حيرة وومضة من خاطر استطال وتمهل وكاد يلتهم ما دونه من الاحاسيس...

وللواحة قصة ، وكم كنت اوثر لو كانت بريئة منها ، ولكنها حميمة الصلة بهـا ، فهي بها لا بسواهـا ديوان شعر وكتاب هوى وصور واخيلة تتلفت وتتوثب وتطير بغير جانح... فلقد عرفت صاحبها وعايشته وساكنته ، فاحببته مرة وكرهته مرة ، وآليت على نفسي ذات يوم التخلص من هذا التوأم العجيب الذي أرهقني وأرهق ظلي وأقلق معي الليل والدراري والعيون الزرق والسود والخضر ، وحلا له في أمسية حلوة ان يعبث بالشفق الاحمر والغمام المدل على القمر ، وسولت له نفسه في صبيحة ندية ان يحدق في كل كائن... فلون احداقه بالخير والشر وغمس قلبه في الخير والشر ، فاذا هو غريب في الناس ، مجموعة من المتناقضات ، يعلو حتى ليعتلي مـا فوق الظنون والهواجس من دنيوات مرصودة لم تتعرف الى التراب ، ويسف حتى ليبلغ مستنقعات الشهوات ، ومجيرات العروق..

بعد « الواحة »

بقلم صلاح الاسير

فلما شببنا عن الطوق معاً ، فينكمش على ظله ويضحك.. يختبيء وراءها ، ويظل كذلك يسترجع في دورة السانحة حياته الالوان ، ويقفز الى كوة غده وعذارى الغد وهموم الغد... وننزل من جديد الى دنيا الناس. أيحبني صاحب الواحـة الحب لتجاربه واذنـاً لذكرياته كان يتركني في أحايين ، وتطفر من عينيه دمعة حارة ، يقيمه هاجس ويقعد به هاجس ، العجيبة المزدحمـة المختلفـة يبني في هدأته تلك مراح الغد ويتبرم في عزلته ، فيعود الي ولا أعرف على التحديد الذي يدعيه ، ام يرى في مسرحاً واحلامه ومآسيه ، ففي بعض حـالاته يتركني ونحن في بهرة مقصف يعج بالراقصات والراقصين على أحر النغمات ، ليذهب بعيداً الى القـاهرة او الى دمشق الى السفح او القمة الى الشاطيء الهادي، او النهر الوادع حيث يتلاقى مع الحلم على موعد لم يذكره لي ، ويعود بعد دقائق سائلاً اياي المعذرة فيتبدد حنقي واعود الى سابق عهدي معه.

وان بعض أصحابه ليعرف عنه ما لا أعرف فهو ضنين معي سخي مع هذا البعض ، لذلك ساعة قرأت في « الاديب » لعددين مضيا كلمة صديقه الدكتور سليم حيدر عن ديوانه الواحة ، عدت اليه اسأله عن السبب الذي من أجله اظهر سليماً على المتواري عني من انبائه وحالاته وأطواره ، فاستغفرني وكاد يسجد عند قدمي وختم استغفاره الفاجع بهذه الجملة المتساءلة — الذنب ذنب « الواحة ».

وقرأت معه عشرات المرات قصائد « الواحة » الآثمة المذنبة ، فإذا به يشركني في اكثر اتجاهاته إشراكاً لا اخلاص فيه ، واعود من واحته وفي اعماقي لوعة الغبن المقصود ، والاثرة الخبيثة.

واليوم يسألني الكثيرون عن صاحب « الواحة » بعد « الواحة » ماذا عليه... لو تركنا له ان يجيب ، انني لأود لو يتركني من جديد ، لو يتبرأ مني ، خوف اشراكي انا البريء في اتجاهاته المقبلة!!..

القافلة

لنا البيد، عبرَ الخيالْ
وعبرَ ارتقاص السرابْ
وغفو الصحارى الرحاب
نحط الرحالْ

•

قوافل في المدى الصافي
تلوح كسرب اطياف،
بعادٍ كالاماني الزرقِ
سوارٍ في حنايا الشرقِ

•

لنــا البيد سمر الليالي
تلفّ قوافلنــا الهائمة
وترشدنا النجمة الحالمة
بتيه الرمال

غنطوس الرامي

قصة

الرقم الرابح

بقلم سهيل ادريس

. . . واخرج يده من جيبه تحمل هذه الورقة المالية الواحدة . . خمس ليرات ، ليس يملك غيرها الى آخر الشهر . . . ومتى يكون آخر الشهر ؟ ان بينه وبين يومه هذا احد عشر يوماً ، فأنّى لهذه الليرات الخمس ان تكفيه وتفي حاجته وحاجة اولاده وزوجه ؟! .

ونظر الى هذه الورقة المهترئة نظرة حنان . . واخذ يقلبها بين اصابعه شارد الفكر متوزع الضمير . وكان قد اشترى ليومه ما يقيم به أوده وأود اولاده ، وتبقّى من راتبه الشهري يتقاضاه من ذلك التاجر البخيل ، هذه الليرات الخمس التي ينبغي له — نظرياً — ان يقتّر على نفسه واولاده تقتيراً شديداً حتى تصرف الى آخر الشهر . . ولكنه كاد يضحك ، بل انه ابتسم بسمة هزؤ واستهتار ! ان هذا المال الباقي لا يفي ثمن فطور واحد ، بَلْهَ يوم واحد ، فأنّى له ان يُصرف الى آخر الشهر ؟! والايام العشرة الباقية ، ماذا يطعمُ فيها ، بل ماذا يطعم فيها اولئك الصبية الثلاثة وتلك الام التي لا تدخر قرشاً واحداً ؟.

وبدأ اليأس يتسرب الى نفسه حتى غمر جوانبها كلها ، فكانت سحب من الاسوداد تتكاثف على قلبـه فتغرقه في لجة عميقة من الكآبة والحزن . . وتقبل صورُ اولاده الثلاثة تترى في مخيلتـه تصوّرهم له يبيتون عشرة ايام على الطوى ؛ او لا يطعمون الا النزر اليسـير يكاد لا يمسك الرمق ، تعكف عليهم امهم بين اللحظة والاخرى تمنيهم بالمساء ، يحمل لهم بعودة والدهم الطعام والحلوى .

وباتت هذه الصور المتشحة باليأس تتردد طويلاً على فكره ، وهو جالس على كرسي قريب من منضدة سيده التاجر المستغرق في دفاتره وحسابه . واتجه لبال « راغب . . . » ان يطلب الى معلمه التـاجر ان يقرضه بعض المال يسد به حاجته حتى يشارف الشهر نهايته . . . ولكنه ما لبث ان خنق هذه الرغبة وانه لواثق من ان التاجر لن يكترث لطلبه ، اذا لم يحتقره من اجله . ولم يحاول ان يفكر في منفذ آخر لضيقه ، وليس هذا من الغرابة في شيء ، فهو فقير الى حـد الدقع . . . وخرج مساء ذلك اليوم لا تني الهموم تنتـابه فتفل من عزمه على العمل ، وتحد من رغبته في السعي والجد ، وتدع نفسه تطير شعاعاً وآماله التي هي آخر علالاته تبدد هباء ! . .

وألمّ بساحة البرج متجهاً نحو المحطة ليستقل منها الترام ، وشق لنفسه جاهداً طريقه بين الجماهير تغص بها الساحة مساء كل يوم . . وكادت اذناه تصمان من هذا النداء الثاقب تتعالى به اصوات الباعة والسعاة . وكان باعة الصحف اكثر الاصوات ارتفاعاً . . ولكن « راغب » لم يكن منتبهاً لشيء من ذلك ولو انه كان يسمع كل ذلك . وتقدم نحو الترام ، وكاد يصعد اليه حين تطرق الى سمعه نداء بعيد يقترب رويداً فتتجلى نغماته ويبين مقصده . . وتوقف راغب يجيل بفكره كلمات المنادي : « غداً يجري سحب اليانصيب . غداً السحب . . . »

. . . وكان بعد لحظات امام البائع يستلم منـه ورقة صغيرة تحمل رقماً خاصاً ، ويودع بين يديه تلك الليرات الخمس العزيزة . . ولم يكن قد فكّر الى ذلك الحين بذلك المتنفس النيّر يحمل الامل الواسع والرجاء العريض . . ولهذا صح عزمه على الفور ، فلم يستطع ان يقاوم رغبته ، ولا ان يتيح لعقـله ان يتدخل فيؤيد العاطفة او يرفضها . . ولكنه كان على يقين تام ان في هذه « الورقة » الامل كله والمنى . . ما الذي يمنع ان يواتيه « الحظ » كما واتى قريباً له بالفي ليرة لبنانية ، وكما واتى جاراً لهم فاصاب من المال قـدراً ما كان ليحلم به . . . ولعل الضيق ان ينفرج عنـه يومذاك فتتوافد اليه السعود . . .

واخذ ورقة « اليانصيب » فنظر اليها عن غير قصد ، ثم سارع فطواها مشفقاً ان يرى رقمها ، يقيناً منه ان من الخير طيها الى موعد

السحب ، وان التطويل في الانتظار يملأ النفس املاً ، ويترع القلب رجاء !.

وبلغ داره ، فغافل اولاده وزوجته ووضع الورقة في درج اقفاله ، ثم اوى الى فراشه من غير ان يأكل شيئاً ، واعتقد ساعتئذ اعتقاداً عميقاً بان الله سيحقق رجاءه لانه صادر عن نفس شريفة تتعطف وتتألم اشد التعطف والتألم لصبية صغار يلتمسون الغذاء فما يجدون. وايقن « ان الفرج بعد الكرب ، وان مع العسر يسراً ». وهوم النوم على جفنيه تداعب فؤاده معسولات الاماني . .

وحين استفاق في صباح اليوم التالي استشعر نشاطاً وجداً لم يكن له بهما عهد حتى في شرخ الشباب واطرى العمر . . وأيقظ اولاده وزوجه ، وجلس يلاطفهم ويداعبهم ، ويحتضن كلًا منهم بعض الزمن ليطبع على خده قبلة حمّلها قسما من امله الواسع الرغيد. وكان طبيعياً ان تعجب زوج « راغب » من هذا الفرح والسرور تفيض بهما نفسه ، فاقبلت تستبشه السر ، وكاد ان ينطق بالخبر لولا ان تذكر ان في الكتمان الخير كل الخير . وتأتى له ان يداورها ويحاورها حتى صرفها عنه ، وعاد الى اولاده يمنيهم بالحلوى والفاكهة يحملها اذا ما قفل في مساء يومه . وخرج الى عمله وقد تعمد ان يبقي الورقة في الدرج فلا يطلع عليها الا في المساء بعد ان يكون قد جرى السحب ، واعلنت الارقام الرابحة . . .

وبشر « راغب » معلمه التاجر بوجه مشرق ضاحك ، وتلطف في خدمته ، وسارع الى تلبية رغباته بجد ونشاط ، ولم يحس الجوع مع انه خرج دون ان يطعم لقمة واحدة ، ومن غير ان يتزود كعادته بشيء يأكله عند الظهيرة . . وتاه طويلاً عن دنيا الواقع . وكانت كل آماله واشواقه تتجمع في تينك العينين يشعان ببريق متألق ، وفي هذين الكفين تتوشج اصابعهما ويشتد عناقهما ردحاً من الزمن . . ولكنه لم يصخ الا لاصوات معينة ، ولم يفكر الا في شيء واحد . . لم يصخ الا لاصوات الباعة يتنادون باوراق اليانصيب ، ويشوقون الناس بموعد السحب القريب : الساعة الثالثة بعد ظهر اليوم . . فيتبعهم انظاره انى توجهوا ، ويلذه صياحهم مهما علا ومهما نشز . . ولم يكن يفكر الا بجوائز « اليانصيب » بل بجائزة واحدة هي الكبرى منها : جائزة الخمسين الف ليرة لبنانية سورية . . كلمة واحدة في الفم . . ولكن كم تهول بمعناها ومداها . .

خمسون الف ليرة !. . كان يستشعر بعض اللذة حينما يبدأ التفكير فيها . . ولكنه ما يلبث ان يحس ألماً عميقاً ينتاب كل مشاعره وظنونه كلما امعن في التفكير ، وازداد في التخيل . .

كان لا يستطيع في الحق ان يتخيل هذا المبلغ ، ولم يكن في طوق ادراكه ان يحده ، فكان تقصيره في ذلك التصور يبعث فيه الواناً من الشعور الحزين ، الذي لا يمكن وصفه الا بانه حزين.

وتصرم من اليوم نصفه وهو ضحية هذا الاختلاف الشعوري يسر حيناً اذ يبدأ التفكير ، ويحزن حيناً اذ يمعن بعض الامعان في التخيل . .

ولم يحس الجوع عند الظهيرة . وهو نفسه لم يكن يميز اذ ذاك المواقيت ، ولكنه كان ينتظر وقتاً معيناً : وهو موعد انتهاء عمله ليعود الى داره .

لم يكن ينظر الساعة الثالثة بعينها : موعد السحب، ولم يكن يتربص ان تطبع نتائج السحب في الصحف او في نشرات خاصة ، بل كان همه ان يعرف فحسب رقم الورقة التي تربح الجائزة الكبرى ورقم ورقته التي خبأها في الدرج، بل لم يود الا ان يعرف رقم هذه الاخيرة . . ولكنه في حقيقة الامر كان يحرص على ان يطلع في آن واحد على رقم ورقة الجائزة الكبرى وعلى رقم ورقته . . وكان كل همه ان يسمع او يقرأ رقماً واحداً : هو رقم الجائزة الكبرى ورقم ورقته . .

ولم يطل عليه الزمن اذ أقبل المساء يسعى بخطى سريعة ، فودع معلمه بوجه مشرق ، وسار متجهاً نحو ساحة البرج ليستقل من محطتها الترام الى داره ، وحين بلغها سمع اصوات الباعة تتعالى منادية بنتائج السحب ، فتوقف لحظة راجف الفؤاد ، واجف الصدر . . واقترب بخطوات وئيدة الى بائع الصحف ليبتاع نشرة النتائج . . ولكنه ما لبث ان انصرف عنه وقد شابه بعض الضيق : كان يريد ان يعرف رقماً واحداً وجائزة واحدة فقط !.

واقبل الترام يتهادى ، فالفى نفسه ينقاد اليه انقياداً . . وبدا كأنه لا يفكر بشيء ، او انه يفكر بكل شيء . . وسار الترام وكل من فيه يتكلم ، وهو يستمع اليهم جميعهم ، او لا يستمع الى احد منهم . . حتى تطرق الى اذنه صوت رجل يقول لرفيق له :

— اشتريت من اوراق اليانصيب خمساً ، فلم اربح فلساً . .

فضحك الآخر، ثم قال متسائلاً بشيء من الفضول والاستطلاع :

— ترى من يكون صاحب الخمسين الف ليرة . . . صاحب الرقم « ٦٧٢٥ » . . .

جنتي...

بقلم مظفر سلطان

استاذ في تجهيز حلب الثانية

جنتي يعرض عنها بعض الناس ... لانها صغيرة .. وجنتي تحب جميع الناس .. لانها لا تعرف الا الحب ..

جنتي عزيزة مهينة يحتقرها بعض الناس .. وهي تفهم جميع الناس .. فهي كالام الحنون التي تغضب من وحيدها المفدى .. ولكنها لا تعاقبه ..

جنتي قديمة كالزمن ، جديـدة كالبسمة ، خفية كالروح ، واضحة كأول المساء وآخر الليل تستطيع ان تفعل كل شيء .. ولكنها لا تفعل شيئاً ...

جنتي عذراء كالندى ، امرأة كالحيـاة تسلم جسدها الحي الخالد لكل مريد ، ثم تفر من وعيـه النقي كما تفر الفكرة المجيدة من الذهن المروع ...

جنتي شعارها الصفاء والابتسام .. فاذا تمرد على شعارها موجود طلعت عليـه بالصفاء والابتسام ... وهو بدوره .. سيفهم ، وسيعاقب بالصفاء والابتسام ...

جنتي مزيج من نور وظلال ... والنور على ظلاله جد حريص . وانها لترى .. ولا تُرى .. فهي قد أدركت السر .. ولكنها لا تستغل السر .. لانها لم تدركه الا وقد زهدت فيه ، ولم يبق لها اليه رجعة ..

جنتي لا يغيب عنها القمر ، ولا يذبل فيهـا الزهر ، ولا تنتهي فيها حياة .. وهي خير كلها .. فاذا دخلها الشر استحال فيها الى الخير بداهة ... حتى كأنه لم يكن قد كان .. ثم .. كان ...

جنتي ليست ترجو ثواباً ولا تخشى عقابا .. لان لهـا .. وفيها .. الهها الخاص .. وشعاره ابداً ...

الكل الى الجنة ...

كان راغب يلهث لهاثاً شديداً ، ويتصبب العرق على جبينـه ورقبته لما أصاب من تعب وجهد ، فقد هبط من الترام قبل ان يبلغ داره ، فتكلف هذا السير الطويل على مشقة . وكانت اربعة اعداد تتطاول جوانبها ، وتتكاثف اواسطها تمثل لعينيه .. كان الرقم ٦٧٢٥ ينمو رويداً رويداً في مخيلته حتي ليغمر ارجاءها ويملأها ، بل يكثف الفينة بين الفينة حتى لا يفكر بعدُ بغـيره ، بل انه ليقوده الان الى داره ، ويضيء له الطريق وقد بدأ الظلام يتساقط عليها .. كانت كل جوارحه ومشاعره تردد هذا الرقم وتعيـده بنشوة والتذاذ ، فهو كل شيء فيها وهي كل شيء فيه ..

وبلغ « راغب ... » داره ، فلم يلتفت الى احـد . لم يرد ان يصغي الى صوت زوجه تعاتبه وتنكر عليه ان لم يبعث لهم بمـا يسدون به الجوع ، ولم يصخ الى بكاء اولاده يقتربون منـه في انتحاب يطالبونه بالحلوى والفاكهة وعدوا بهما في الصباح ...

واسرع الى درجه ففتحه ، ومد يده الى الورقة واخرجها منه بفرح يشمل كل حواسه .. يشمل سمعه حتى ليسمع اولاده وزوجه يغنون ويضحكون ويطربون ، وشمه حتى لتفعم انفه روائح الطعام وذوقه حتى ليحس طعم الحلوى والفاكهة شهياً لذيذاً على لسانه ، و ... ...

وخرج « راغب » من داره ، مطبقاً بكلتا يديه على « ورقة اليانصيب » كأنما يخشى ان تفر او تنفلت من بين اصابعه ، او كأنما يشفق ان يتبدل الرقم « ٦٧٢٥ » بغيره ... ...

سهيل الدريس

سهرة

*

كانت سهرتنا البارحة ممتعة في اوائلها
وكان الحديث من اعذب ما يكون في مستهلّه
ولا ادري كيف تحوّل الاندفاع الاول
الى تيار جارف عرم!
فلم يُبق نتنًا الا واحتضنه
ثم ركد ركود المستنقع وقرّ في اللج ،
فكان عميقًا اخمّ . . .
وكانت تتبخر منه المياه
ونحن في عتمة الليل
فيتضايق صدر الجو
وينطبق على رئتيه
حتى التراقي!
ذلك وكلانا ضلع
في صدر هذا « اللاشيء »
الرحب ، المترامي الجوانب

*

ولقد شربت انا ، بعد عفة وصيام
فتهالكت على الكأس
وغاص لساني في الجنون السائل
وجعلت من قلب الارض فضائي
فلم احلق
ولم اسحب اطراف مباذلي على الدرجات العُلى
كما تعودتُ مني التعالي ، وجر الذيل ! !

*

وسلكتُ طريق الشاة . . .
فكان صعبا وعر المسلك
كثير الاشواك والصخور
وكنت كلما عثرت في الخطو نهضت
وكلما نهضتُ عثرتُ !
فاضطررت آخر الامر
الى الزحف في التواء
حتى اذا اضناني
اخذت مهلة في يمين
واخرى في شمال
وتنفس الصبح
فلم اكن بعد في الطريق
ولا انتهيت الى الهاوية البعيدة
والحمد لله
فنفضتُ اللحف عني
ونهضت على قدمي
لا املك خاطرة استرد بها احداث الليل ورقص خيالاته
التي لم يعد باقيا منها سوى اثار عافية اللون ،
راحت عيناي المثقلتان تجهد في تميزها عبثاً ،
في شيء من الجمود
وكان الصبح قد شهق شهقته ، والحمد لله !

البير اديب

جولة الاديب في شهر

رغب « الاديب » ان تكون جولته في هذا الشهر حول التعاون الثقافي بين البلاد العربية ، هذا الموضوع الذي كان حديث المثقفين والصحافة في الآونة الاخيرة ، فوجه مندوب « الاديب » الى بعض المشتغلين بشؤون الثقافة على اختلاف انواعها في لبنان هذا السؤال : كيف تفهم التعاون الثقافي بين البلاد العربية ؟ وهذه هي الاجوبة :

كيف افهم التعاون الثقافي بين البلاد العربية

الاستاذ جبران التويني

وزير المعارف اللبنانية سابقاً وصاحب جريدة النهار

اذا كان المقصود من التعاون،التعاون الرسمي بين الحكومات، فاني لا أفهمه الا عن طريق واحد هو التقريب بين مناهج التعليم في المدارس الابتدائية والثانوية ، اما اذا كان المقصود بالتعاون التعاون بين الشعوب او بين الاقطار العربية فهو قائم لا يحتاج الى تنظيم لان ارتقاء فن الطباعة جعل المحصول الفكري ميسوراً عن طريق المطبوعات ، وندر ان يصدر كتاب او جريدة في قطر ما ، من غير ان تتصل نسخ منه ببقية الاقطار ، فيتم بين الخاصة تبادل المحصول الفكري وهو نوع من انواع التعاون الثقافي غير الرسمي ، فقد كان الاديب فيما مضى يرحل من بلد الى بلد في سبيل استنساخ كتاب او من اجل القراءة على عالم. اما اليوم فقد تبدلت الاحوال واصبحت الاقطار العربية كلًا يعرف ما يصدر عن ابنائه في مختلف منازلهم ، على ان تبادل المحصول الفكري يحتاج الى تنظيم لتكون فائدته أعم ، وذلك عن طريق تأسيس فروع لجمعية واحدة تسعى لنشر المطبوعات التي يصدرها احد الاقطار في القطر الآخر. على ان هذه الحالة لا تمنع الحكومات من تبادل الاجتماعات للتقريب بين مناهج التعليم في الاقطار العربية جمعاء حتى نصل الى وقت لن يكون فيه الطالب اللبناني او السوري غريباً عن منهاج التعليم في مصر ، والطالب المصري غريباً عن منهاج التعليم في العراق فيكون التعاون قد مشى في طريق التنظيم من اول مراحله ، وتوحدت قواعد التدريس والمصطلحات التي لا غنى عنها لمجابهة حياتنا الجديدة.

الاستاذ محمد جميل بيهم

رئيس جمعية اخوان الثقافة

التعاون الثقافي بين البلاد العربية امر ما برح قائماً منذ نشوء الحضارة العربية تتولاه مؤسسات علمية كبرى ، تقوم في رحاب جوامع القيروان وقرطبة والزيتونة والازهر وغيرها . وان عناية العرب المعاصرين في نفس الوقت ونفس العاطفة برجالاتهم القدماء وتكريمهم ، والحفول بنوابغهم الاحياء والتحدث عنهم سواء أكانوا في مصر ام صنعاء، وطرقهم الابحاث العربية المشتركة المتصلة بشؤون أمة واحدة في صحف ومجلات وتآليف تصدر في بلد لكل البلاد العربية سواء ، كل هذا برهان جلي على وجود هذا التعاون الثقافي فعلًا بين الامصار الشقيقة وريثة مدنية العرب.

لذلك فالذي أفهمه من قضية التعاون الثقافي بين الاقطار العربية موضوع الدرس اليوم انما هو اتجاه الحكومات العربية للتعاون على وضع نظم مشتركة لتوجيهه وجهة اجدى وانفع . على اعتبار ان النهر جار ولكن الاستعانة باعمال الري الفنية تفضي الى استثمار مياهه اضعافاً مضاعفة.

واذا ساغ لنا تسمية هذا الشكل من التعاون « بالرسمي » ادركنا ان تحقيقه سيكون على طريقة المراحل.

بلى ، انه يتبادر للخاطر ان توحيد البرامج في التعليم بين البلاد هو أفضل منهاج لهذا التعاون،ولكن لما يعترض هذا التوحيد

من المصاعب فمن الواجب ان نجعله بمثابة الهدف على ان تكون البداية مراحل اخرى تمهيدية له.

وهنا مجال للتنويه بما تقوم به مملكة مصر الحكيمة من هذا القبيل منذ لم يكن في الوجود بحث جدي في هذا الموضوع. واعني بذلك اولا بعثات المعلمين التي ما برحت توفدها الى الامصار العربية مساعدة لها على النهضة الثقافية وثانياً ترحيبها بالطلاب العرب الذين يؤمون معاهدها العلمية ترحيب الام بالابناء، فتعمل مصر بذلك عملها المجدي في ميدان التقريب بين الاتجاهات العربية الحديثة وتتلافى اثر التبعيد بينها الذي يقع في ارجائها بمقدار تقدمها من حضارة الغرب. هذا في الواقع اول ما يجب ان يؤخذ به من التعاون، اما وان مصر العزيزة اخرجته الى حيز الوجود فتعين الوجوب من بعد في ناحية العمل به بمقياس اوسع تؤازره مؤتمرات سنوية كمثل مؤتمرات الطب العربية تقوم بها وزارات المعارف في الدول العربية فتعالج موضوع التعاون الثقافي بمقتضى التطور والظروف.

والى جانب ذلك يعنى في توجيه المجامع العلمية العربية توجيهاً يخرج عن نطاق اللغة والعلم والادب الى حيز العمل في سبيل التعاون الثقافي ولمصلحة العرب.

الاستاذ عبد الله المشنوق

مدير كلية المقاصد في بيروت سابقاً

لست ادري كيف ترغب «الاديب» ان يُتناول هذا الموضوع المتشعب الواسع في حديث قصير، وان مجال القول فيه، بل في شعبة واحدة من شعبه تتطلب سلسلة مقالات، ثم انه ليس من قلة الشأن بحيث يستساغ القول فيه مرتجلاً. ولكنه يتعلق بشيء حيوي للبلاد العربية قاطبة. ولن آخذ على نفسي الان بحث هذا الموضوع القيم من جميع فروعه، بل سأقتصر على ناحية واحدة هي ناحية التربية والتعليم في هذا التعاون الثقافي. واني قد اخذت معلوماتي فيها من اختباراتي الكثيرة في لبنان وسوريا والعراق ومصر خلال زياراتي المتكررة، ثم من هذه السنين الطويلة التي سلختها في هذا الحقل.

*

احب ان أؤكد بان هذا التعاون - كما نفهمه - ليس عملاً مصطنعاً او مرتجلاً، وانما هو عمل طبيعي راهن. واظن ان علينا ان نوجه قصارى جهودنا نحو اتمامه وسد الثغر فيه. ولست احتاج الى الاستشهاد بانه طبيعي، فيكفي ان نذكر هذه البعثات العلمية الكثيرة التي تتبادلها البلاد من لبنان الى العراق ومن مصر الى لبنان وسوريا والعراق، ومن سوريا ولبنان الى الجامعة المصرية الخ... كل هذه وجدت قبل ان يفكر بتنفيذ التعاون. ولا تتعدى مهمة اولي الشأن تنظيم هذا التعاون. ويشمل هذا التعاون من حيث التهذيب شيئين اثنين: الآلة التعليمية، والمناهج والبرامج.

اما الآلة التعليمية، فتتناول الاساتذة والمؤلفات ووسائل الايضاح. وبوسعي القول ان التعاون الثقافي يستطيع ان يتناولها في كل شأن من شؤونها.

ولا شك عندي في ان الاسبقية والتزعم - في هذه الناحية - تتمتع بهما مصر، لانها أقدم بلد عربي نظمت فيه شؤون التعليم على اصول حديثة تقرّها الدول المتقدمة الكبرى. ثم ان لها من غناها الطبيعي ما يسهل تحقيق هذا التنظيم باوسع وجوهه. وموجز هذا الرأي ان تحضير المعلم في مصر هو خير تحضير. اما في لبنان وسوريا، فينقص هذا التحضير شيء كثير من الاسباب الفنية والعلمية. ففي لبنان مثلاً، يختار المعلم من حملة البكالوريا، ومن ذا الذي يدعي بان حامل البكالوريا حقيق بان يتولى هذه المهمة؟ ثم انهم شاؤوا ان يتلافوا هذا النقص فاصطفوا من هذا البلد الذي يضم ما يقرب من مليون شخص سبعة اشخاص دون البكالوريا، وحسبوا ان في تدريسهم سنتين بعد ذلك، ما يكفل لهم وجود سبعة معلمين من خيرة المعلمين!..

وليست الحالة في سوريا باحسن منها في لبنان. واكبر برهان على ذلك انهم الغوا حديثاً المدرسة المدعوة بدار المعلمين وارسلوا تلاميذها بعثة الى مصر...

واذا شئنا دليلاً محسوساً على هذا النقص، فلنتناول معلم اللغة العربية في سوريا ولبنان.. فانه في هذين البلدين ليس «اكثر» من حامل بكالوريا. واعتقد بان هذه الشهادة لن تخرج اديباً متمكناً في اللغة العربية: في متنها وقواعدها واصولها وبلاغتها..

واما مصر، فتشمل فيما تشمل مدرسة لعلها عماد النهضة الادبية العربية في مصر، واعني بها مدرسة دار العلوم. فان القائمين عليها قد تفرغوا كل التفرغ على تعليم العربية على اصولها. وقد اتيح لي ان ازورها مراراً فوجدت فيها احدث الاساليب التهذيبية. وقد دخلت مرة على طلاب يدرسون فقه اللغة فوجدت في حيازة كل منهم ما يحتاج اليه من معاجم وكتب كثيرة بعدد كاف، واستمعت الى الاستاذ يشرح لهم الفرق بين معاني: حديقة وجنينة، وروضة ومرج وبستان، فيقول مثلاً ان كلمة «بستان» مؤلفة من كلمتين فارسيتين معناهما «مكان الرائحة الطيبة» وان كلمة «حديقة»

تدل على قطعة من الارض « محـدّدة ومصوّنة » . . . وكان الطلاب انفسهم يبحثون هذه الكلمات في مراجعها ويدرسونهـا اعمق الدروس.

وانا أحبذ ان نرسل الراغبين في تعلّم العربية الى هذه المدرسة لانه ليس في لبنان والحجاز والعراق وسوريا وغـيرها ما يقوم مقام هذه المدرسة.

واما الجـامعة المصرية ، فجديرة ان تخرج ادباء ، لا اساتذة اللغة العربية ، وانما يكون التعـاون الثقافي في الاستفادة من هذه المؤسسات بايفاد البعثات اليها . واظن القراء يجمعون معي على ان ليس في طوق البلاد العربية المذكورة الان ان تنشيء جامعـات ، كالجامعة المصرية مثلا.

وما قيل في التعاون التهذيبي يقال في التعاون الزراعي والتجاري والادبي وغيرها، على ان نفكر في المستقبل بملء هذه الثغر بانفسنا. وكذلك الشأن في المؤلفات.

اما فيما يتعلق بالمنـاهج ووضع الخطط التعليمية ، فتستطيع البلاد العربية ان تتعاون عن طريق واحدة : هي استفادة بلد ما من كيفية تذليل المشاكل التعليمية في بلد آخر . ولا احتاج الى القول بان المقصود من هذه الاستفادة ليس التقليد والاقتباس.

ثم ان من الواجب والمفيد في آن واحد ان يقرب بين المناهج ما امكن حتى يُتاح لطالب في بلد ما ان يتم درسه في بلد آخر ، اذا ما دعته الحاجة ، او رغب في الاستفـادة من خبرة اوسع من خبرة بلده، ولكن ذلك ينبغي ان يكون على شريطة واحدة: الا يؤدي هذا التقريب الى قتل روح الشخصية في كل بلد ، ودون ان يطغى على المؤثرات والحاجات الاقليمية ، على قلتها . واذكر هنا ان العراق قـد استدعت احد كبار الاميركيين المستر مورو الاختصاصي في دراسة التعليم ومشاكله ، وان مصر قد استدعت العالم السويسري الكبير كلاباريد لمثل هذه الغاية فدرسا المشاكل التعليمية في البلدين ووضعا عنها تقارير يستنتج منها بان اكثر مشاكل التعليم واحدة في البلاد العربية.

وانا لا احبذ ان يصبح هذا التقريب «توحيداً» اعني آلياً لدرجة ان يقف مدير المعارف السورية فيقول مثلاً: اليوم في الساعة الثامنة صباحاً يدرس جميع ابناء البلاد العربية في صف كذا . . . المادة كذا . . . في الصفحة كذا . . . كما كان يقول وزير فرنسا. فان في هذا لا شك قتلاً واخماداً لروح الابداع وفكرة الشخصية.

وهكذا ارى ان يتفق على الخطوط الكبرى في المنـاهج ، وان توجه التربية والتعليم وجهة متقاربة دون قتـل للشخصية التي هي عماد كل بلد مستقل.

الاستاذ قيصر الجميل

مدير فرعي النحت والتصوير في الاكاديمية اللبنانية

اما من الناحية الفنية فأول شيء افهمه من التعاون هو :

اولا — اقامة معارض فنية مشتركة لمنتوجات الفنانين في بلدان الاقطار العربية تبدأ مثلاً من بيروت فتنتهي ببغداد بعد مرورها بجميع عواصم البلاد العربية.

ثانياً — ايجاد صلة بين كل الفنانين باقامة معرض سنوي شامل في احدى عواصم البلدان العربية يشترك فيه الفنانون على اختلاف نزعاتهم ومدارسهم ، وجعل تعليم الرسم اجباريا في جميع المدارس رسمية كانت او غير رسمية ، فلا يبقى الرسم ألهية للتلاميـذ ، ولا ترفاً فنيـاً واداة الاستمتاع ، بل ضرورة لا بد منها ، كضرورة اللغة للانسان ، فنحن نرى ان الرسم لغة عالمية ، يعبر بها الرسام عن افكاره وآرائه ، بالخطوط والاشكال ، فيفهمها كل بصـير من سكان الارض ، لا فرق بين من يتكلمون لغة الرسام واللغـات الاخرى ، فاذا كان التفاهم الفني على هذا النحو من القرب والسهولة بين سكان البلدان المختلفة الثقافة واللغـات ، فكيف ، في بلاد تتكلم لغة واحدة ؟

ثالثاً — انشاء اكاديمية للفنون الجميلة ، ومن حسن الحظ ان هذا الامل قد تحقق في بيروت منذ امد قريب فقد انشيء حديثاً اكاديمية للفنون الجميلة تدرس فن العمار — الموسيقى — التصوير — النحت — التزيين — المسرح ، يشرف على ادارتها الاستاذ الكسي بطرس ، ويدير الفرع الموسيقي الاستـاذ « دال » وبقي لي ادارة فرعي التصوير والنحت ، الى ان يتيسر للقائمين بشؤون الاكاديمية اللبنانية خلق فروع اخرى تساعد الشباب على تحقيق ثقافة شاملة ضمن منهاج تقره حكومة البلاد.

هذا هو رأيي ولا استطيع ان افهم التعاون الثقافي على غير هذا الوضع وفي غير هذه النواحي ، اما الافادة من تبـادل المؤلفات ، فهذه ، لا تتعدى الهواة والادباء المحترفين ، وكلها متضاربة الآراء، مختلفة الاهداف ، فلا يمكن الاتكال عليهـا في توجيه شعب الى وحدة ثقافية ، او الى اي ناحية من النواحي الاجتماعية.

الدكتور محمد خير الدويري
سكرتير الجمعية الطبية اللبنانية

اول ما يتبادر الى الذهن ونحن في معرض الاجابة على هـذا السؤال ان الاهداف المقصودة من وراء هذا التعاون امر قد اتفق عليه وبت فيه ، اذ ليس من المعقول ان تهتم البلاد العربية لهـذا التعاون من غير هدف او قصد . والظاهر ان صاحب « الاديب » الاديب هو كغيره من هؤلاء النفر الذين يتتبعون شؤون البـلاد العربية لما في البحث في هذه الشؤون وفي تحقيقها من خير يعود عليها كلها على الاطلاق . ومنذ اليوم الاول الذي بذرت فيه بذرة هذا التعاون ادرك الاطباء –وهم في طليعة المتعلمين والمثقفين– ان تحقيق هذه الاهداف القومية الشاملة لن تكون ولن تنتقل . من « عالم الخيال » الى عالم الحقيقة الا عن سبيل هـذا التعاون ، ان صاحبه الايمان والاخـلاص ، فتطورت – اول ما تطورت في بغداد – الاجتماعات الطبية الملكية المصرية الى مؤتمرات طبية اقليمية . تقام كل سنة في بلد من البلاد العربية يتناول الاطبـاء فيها مشاكلهم العلمية خاصة وغيرها من المشاكل على وجه عام ، وبالفعل فقـد « وحدوا » كثيراً من المصطلحات الطبية ومفرداتها بعد ان كانت متبلبلة على غير هدى ، وانني لمتأكد بعد ان نجح الاطباء بتجربتهم هذه بان البلاد العربية ستتبنى نهجهم وتسير على غراره فلا نقتصر في مؤتمراتنا على الطب بل نتعداه الى كل ناحية من نواحي العـلم والثقافة فتكون لنـا مؤتمرات ادبية واجتماعية واخلاقية وتربوية وسياسية وغيرها لتوحيد مناهج التعليم وتبادل الرأي في تطبيقها ولا نقف عند هذا الحد فقط بل نخطو شوطاً آخر فنتبادل الاسـاتذة ونتعاون على ارسال البعثات التعليمية عنـد الحاجة ، فتشترك جميع هذه « الروافد » في تحقيق الاهداف المبتغاة ، والتي اصبحت معروفة لدى الجميع بعد ان تصبح مؤتمراتنا العلمية حجاً نتبادل فيـه الآراء ونبحث مشاكلنا جميعها على السواء .

الياس خليل زخريا
استاذ ادب ولغة في العلمانية والحكومة اللبنانية

في رأيي ان البلاد العربية هي بلد واحد . وحد الحـدود والغاية والفكرة والجهاد ، لذلك يجب علينا قبل كل شيء توحيد المدرسة العربية بجميع مناهجهـا واساليب التعليم فيها . فيصبح الكتاب واحداً ومتى اصبح الكتاب عاماً شامـلًا خرج النشء العربي بفكرة واحدة وتوجيه واحد على اساس قومي علماني .

وجماعة التفريق مسيحيون ومسلمون يعتمدون على تنوع الوان الادب العربي ليقولوا ان لبنان مثلاً غير مصر ومصر غير العراق مع العلم ان هذا الفرق بين ادب لبناني وادب مصري هو فرق طبيعي جوهري لوجود الادب فليس الادب العالمي في حـد ذاته الا ادبا اقليمياً خاصاً . فلما كتب مثلا جان جاك روسو كتب عن بيته وحالته وتقلباته ثم امتد ارنان انشاده من نافذة غرفته غناء عالمياً ، ولماقص الجاحظ قصته كتب عن احساسه الشخصي ليصبح فيما بعد احساساً انسانياً . وما رأي جماعة التفرقة مثلا في تنوع الالوان بين اديبين لبنانيين ؟ أنجعل لكل منهما بلداً خاصاً بحدود خاصة فتكون زحلة مثلا دولة لفوزي المعلوف وتكون حامات بلدتي دولة لي ؟ وتكون بعبدات جمهورية لصديقنـا صلاح لبكي ؟ والبسطة العليـا دولة لصاحبنا صلاح الاسير ؟ . . .



زهرة العمر

للاستاذ توفيق الحكيم – ٣٠٧ صفحات – مطبعة التوكل القاهرة – ١٩٤٣

اما الاستاذ توفيق الحكيم في معرفة كل قراء العربية تقريباً ، وربما بعض من غير قراء العربية ايضاً ، فليس يستهوينا الحديث عنه كما ليس يستهوي احدا سوانا .

واما كتابه الجديد «زهرة العمر» فهو بقايا من اعصار الشباب على شكل ما استدار به واضطرب كاتبنا فيه ، او هو بالاحرى بعض من اسطوانات حياته عبأها كما حيا وفكر وافتن ، وكما امل وتطلع وحاول ، وكما جرب وأخفق ونجح ، ولعلها ستبقى لديه أبعد كل اسطوانات حياته لذة وأعمقها رجعاً .

انه سقط عليها مثلا يسقط احدنا على الذكرى بعنفها وبكل قوتها وحياتها ، فراح يديرها بشغف ويستمع اليها بنهم ، فاذا بلذتها تتصل فيه وتزيد ، واذا به يستعيدها ويستديرها مرة ومرة واخرى ، واذا هو ايضاً ضنين بها ان تصمت فيتركها دائرة في الناس . وليس لكبير رغبة بهم ولكن ضناً منه – وقد وجد شبابه المفقود – ان لا ينعشه ، فقد نجح في استحيائه فكيف يبخل عليه بالبقاء .

وخليق بين يدي عرضنا للكتاب ان نتقدم بالتنبيه على خطأ نرى التنبيه عليه ضرورياً ، سيما وان طائفة من النقاد الذين تناولوا الكتاب المذكور بالتعليق او بالعرض ، لم يسلموا عن الوقوع فيه كثيرا او قليلا من قرب او بعد .

فهذا الكتاب الذي كان ينبغي ان يستثمر كي يلقي ضوءا على معرفتنا بالاستاذ الحكيم ، استحال في اقلامهم غاية استخدموا معرفتهم به وبآثاره سبيلا الى درسه والتعليق عليه . وبذلك لم يزيدونا معرفة به ، بل تركوا الجانب المجهول منه على ما هو مجهولا غامضاً . عدا عن ان هذا الجانب الذي هو فترة التخلق والاستحالة ، اهم كل الجوانب واعمقها اثرا في ادبه وتكييف انتاجه .

ومن ثم ندرك مبلغ ما تتعرض له دراستهم من نقص بل تشويه ، فاننا حينا نشرح دور التكون بدور التكامل ننتهي حيث بدأنا ، من اننا لم نعرف الا الاستاذ الحكيم الذي تناهى به نضجه ، واما الاستاذ الحكيم الذي تتداعى فيه القوى وتتفاعل في طريق النضج ، الاستاذ الحكيم في استحالته اللاشاعرة التي تكون في مظهرها البادي قلقاً او ظمأ والى اي مدى استبد به هذا القلق او هذا الظمأ ، فقد ظل منبهما خافياً وهذا نقص دون شك .

اضف اليه ان المحاولة المذكورة تصوره وهو زهرة تستحيل بها القوى ، بصورته وهو ثمرة اضمحل بها وجود في وجود ومظهر نشاط في مظهر نشاط آخر ، وهذا تشويه دون شك ايضاً . مع هذا التشويه وذلك النقص لم اجد بدا من تقييد الملاحظة المذكورة ، توجيهاً الى هذا الكتاب الذي يجب ان تبدأ منه دراستنا ونسير معه الى فوق

وللكتاب او بالاحرى مجموعة الرسائل اهمية اخرى ، وهي انها في جوهرها جمل انفعالية في ابان الانفعال فلا تزوير فيها ولا تصنع ، كما ان فيها بداهة الخلجة الاولى في الفكر والقلب اي الذوق ، ومن شأنها انها تبدو عارية دون ان تشدعابها ما هو غريب عنها ، وايضاً ليس فيها استعادة تتكلفها شيئاً منسجما او جديدا وبذلك تتشوه بالنسبة الى ما قد كانت .

فان الاستعادة على كل وجوهها لا تعبر عن الشيء نفسه ، بل عن شيء يشبهه مهما روعي فيها الدقة . وذلك لان استعادة الشعور مثلا بعدهبوبه وتراخيه ، وقد تهيأت له ملابساته في الكائن (اي حالة التكيف) والزمان والمكان ، وهي تؤلف مجرى طبيعياً له ، تقتضي امراره مرة اخرى ولكن في غير مجراه ، الذي لا بد ان يكسبه شيئاً جديدا يخرج به عن حقيقته الانفعالية .

والذي لاح لنا من مطالعة هذا الكتاب ان المكونات التي تفاعلت ثم استوت في وجوده الفني واتجاهه الفكري هي :

١ – الصوفية في الفن : لعل اظهر ما يستوقف القارىء ويستوقفه في حد كبير ، تجرد الاستاذ الحكيم للفن الصرف الخالص في شتى ضروبه واستحالة الفن لديه الى صوفية مطلقة ، صوفية مفعمة بالتبتل والحنين والنزوع المستهام .

وكان تصوفاً حقيقياً حتى لم يخل من التعرض للجذب احياناً والشطح احياناً اخرى على حد تعبير المتصوفين ، وفي الحق انها كانت صوفية حادة في غير تكلف ، حينا كان يرى ذاهلا حتى عن الصبية الحسناء المنتظرة في الروتوند مع الشاعر البارناسي الشيخ المتهدم الذي جاوز الثمانين ، فهو يشعر ان الجلوس اليه في لحظة فنية (ينسيه مفاتن الدنيا لانه يريه مفاتن الفن) . او حينا كان ينتزع والدة اندره من المطبخ انتزاعاً في شيء كالجنون (ليذهب بها الى البيانو بفوطتها تغني له المقطوعات الجميلة في كارمن وفاوست واجراس كورنفيل) . او حينا افتلتها صرخة لا واعية امام تمثال افروديت (لا شيء اجمل من جسد امرأة) ص٦٧–٧٣ او حينا كان ينكمش على نفسه خلف عامود قرب الاوركستر في كازينو سان استفانو يقيه عبء النظرات ليستغرق في جو ما يسمع ص ٩٠ . او حينا كان يرى لاصقاً بالسقف يلتهم الكتب التي في الصف العلوي الاخير في المكتبة المسرحية ص ١٩٥ .

وكانت الى ذلك صوفية رائعة رغم شذوذها ، فان القدر يضع في طريقه (ساشاشوارتز) وهي غادة ذات جسم تحرك فيه تمثال افروديت ولكنه يجالسها الحرب (اليوم الاحد وهو يوم زيارتي المعتادة لمتحف اللاوفر ، هل اصحبها انها لن تطيق المكث فيه ست او سبع سنوات كما افعل ، واذا احتملت فانها لن تستطيع الوقوفساعة امام الصورةالواحدة كما اصنع ، واذا فعلت فانها لن تسكت عن بعض التعليقات السخيفة التي تبدد جو تأملاتي وتفسد علي نظام تفكيري) . وشيء آكيد ان اقصوصة

ساشا جاءت في رسائله على شكل مائع مدهش ص ١٣٦ – ١٦٠ . وقادت هذه الصوفية عنده الى حد انه تمنى شيئاً واحداً ، تمنى لو اطاق تحطيم كل شيء هام (وابتدىء بمستقبلي ، حبذا لو استطعت تحطيمه لاهيم على وجهي في بلاد الارض لا تحدني غاية ولا يوقفني غرض) ص ٩٢ .

والذي لا ريب فيه بعد ذلك ، ان صوفيته هذه من نوع الصوفيات الملهمة التي استبدت بكبار الفنيين وبلورت انتاجهم للبقاء .

٢ – التناغم اي فهم الاشياء فهما موسيقياً او رياضياً : قد يستغرب والى درجة كبيرة ان نقول ان الاستاذ الحكيم يتذوق ويعي على شكل موسيقي ، وقيمة الاشياء في طبعه مستندة الى مقدار ما تعبر عن استقامة موسيقية ، وبالجملة فالموسيقى طريقه الى كل شيء . ولكن هذا ما تعبر عنه الخطرات المختلفة الواردة في مجموعة رسائله ، فان قدرة البناء الصوتي عند بيتهوفن كما يقول تكاد تفتح امام ذهني اسرار كل بناء في آخر ، بل اسرار البناء في الطبيعة نفسها) ص ١٦٢ .

ونحن نعرف شدة ما بين الموسيقى والرياضة من الارتباط ، فكان يبدو للوهلة الاولى صاحب استعداد رياضي كما سماه نجيب اندريه ص ٥٥ وكما سمى هو نفسه مهندساً ادبياً ص ٩٩ .

وهذا الطبع يرافقه الحنين الدائم والظمأ الدائم ، وهو ما نجده بالفعل عنده في اقصوصة ساشا (فكل ما نسميه جمالا وفكرا وشعورا ليس الا قبسات النور التي تخرج اثناء جهادنا وكدنا وجرينا خلف المطلق والمجهول) كما ترافقه القدرة على الافتراض او الخلق ، وعلى ضوئه نستطيع فهم آرائه في الفن والادب والاسلوب ، ولماذا هو ارتضى المودرنزم في مقدار كما ارتضى آثار المدارس الاخرى في مقدار ايضاً .

٣ – فهم الحقيقة على انها تجسدات خيالية او تخيلية وبعبارة اخرى على انها تكاثفات الروح الشخصية : ولذا كان له ما يسميه بالمنطق الخاص ولذا كان له شذوذه ص ٥٢ – ٥٦ .

٤ – الايماء او التلويح هو سر النشوات لا الظفر نفسه : يعني في غير موضع من رسائله مومناً في تأكيد ان النشوة ليست في اشياء اللذة نفسها وليست في حيازتها ، وانما هي في تلويحها فقط . فهو قد احب ساشا ولكن في اللحظة الاولى ، في لحظة ان كانت ايماء واغراء فقط (ان اللحظة الوحيدة التي احببتها فيها حقاً هي ساعة دخولها المشرب اول مرة مع صاحبها الاسباني ، انها كانت رائعة لانها كانت شيئاً في السماء مثل كوكب يتلألأ لا يمكن ان تمتد اليه يدي ، ولكن ما لبث هذا الكوكب ان وقع في كفي فاذا هو مصباح ضئيل . . . ان الانفصال هو الذي يغري بالاتصال) ص ١٥٠ – ١٥١ .

٥ – الالم يبلور العاطفة : وربما كان عامل انشاء لها ، وهو يثق الى ابعد حد بكفاءة الالام . فالقلب لكي يكون قلباً انسانياً يجب ان ينصهر انصهاراً كافياً ، ولولا الضعف الانساني لما وجدت العواطف الانسانية الجميلة التي تنتج احياناً الاعمال الانسانية العظيمة ص ٢٠ و ١٠٠ .

٦ – التنور العالمي يقوم على تلاقي الشرق والغرب : الى حد كبير وفي درجة بعيدة يومن هذا الايمان ويطمئن الى ايمانه ، حتى ليعتقد (انه ما من مرة احتك فيها الشرق بالغرب الا وخرج من احتكاكهما ضوء انار العالم ، وما من مرة تلاقى فيها وجه الشرق بوجه الغرب ونظر احدهما في عين الاخر الا وابصر جمال نفسه كأنه ينظر في مرآة) ص ١٠٨

ويظهر انها نظرية تغلغلت في اعماقه فهي تصرف تفكيره وتكيف انتاجه ، وفيها دون ريب نصيب كبير من الحق والصدق .

هذه مكونات نعتقد انها اجتمعت في طبيعته الادبية وتفاعلت في تلك المرحلة وذلك الدور ، وهي وان تكن استنتاجاً ففي الرسائل لوحات تكاد تنطق بها . ومهما يكن من شيء فقد تكون صادقة وقد تكون غير ذلك ، فنحن اعطيناها على مقدار ما سمح به الوقت السريع في مطالعة عجلى . ولكن الشيء الذي لا شك فيه ان فهمه على ضوء هذه الرسائل امر لا قبل عنه ، وان تشخيصه في هذه المرحلة ضروري لمعرفتنا به .

وهي بعد ذلك تصوره في ظمأه الشديد اللذيذ الضارب في خضم الفن ، وترسم آلام قلقه التي هي في واقعها آلام المخاض لولادة هذا الفنان الذي نعرفه ، فولادة فنان كما شاء الفن ليس باليسير ، فان الفنان على حد تعبيره كائن يعيش في داخله الحيوان والاله جنباً الى جنب .

وكان بودي ان اعرض لتفصيل رأيه في مشكلة العربية كلغة ومشكلتها كأدب ، وهو موضوع له قيمة خاصة من حيث اتصالنا به ، وله اهمية من حيث ان الاستاذ الحكيم في رأيه لم يبعد عن التوفيق . ولكن ضيق المناسبة العارضة حال دونه ، على انه جدير بان يخص درسه وتفصيله بموضوع ، فهو الى صحته طريف يرضي النزعة القومية المتفتحة ويمدها باعتدادية الذات .

والرسائل بعد هذا وذاك ، قصة حياة فكرية وحسية بكل ما اجتمع فيها من اضطراب واستقرار وشك وايمان ، وبكل ما حفلت به من مناسبات حية ، وعذوبتها في انها لم تزل في رسائله حية نابضة العروق ايضاً .

عبدالله العلايلي

ابو شوشة والموكب

مسرحيتان للاستاذ محمود تيمور بك – ١٠٤ صفحات – نشرها الاستاذ عبد الغني العطري – دمشق – ١٩٤٣

هما مسرحيتان مصريتان موضوعاً واشخاصاً تتجلى فيهما مميزات الطبع المصري اللطيف المستمد وهجته من حرارة الروح ولطف المزاج ، لا من اصطخاب العواطف وقوة الغرائز . وتبعث في مخيلة القارىء اخلاطاً من التأثرات بما تضمنتها من مفاتن ظاهرة ولطائف باطنة .

ولا يعنينا ما بهما من المفاتن الظاهرة من حيث رشاقة الاسلوب ورونق السياقة وحبكة الوضع ، ومن حيث الاغراض الاجتماعية التي تهدف اليها كل واحدة منها .

كل هذا لا يعنينا لانه ليس بالخالد من الحقائق ، اذ هي اشياء يتغير لبوسها من عصر الى عصر ، وتتبدل النظرة اليها بتغير المزاج الاجتماعي وتحول الذوق البياني وباختلاف الصيغ الفنية الخاصة بكتابة المسرحية ، وانما يعنينا من هاتين الروايتين تبيين ما احتوت عليها من حقائق ثابتة لا تتغير ، والثابت الخالد منها في العمل الادبي او الفني ما اتصل بالنفس البشرية ، وما امتدت اعراقه في التربة الانسانية وذلك لان النفس خالدة والانسانية باقية في كل زمان ومكان .

والنفس والانسانية في المسرحية يتمثلان في اشخاصها من ناحية تقويمهم في أصدق تقويم نفسي لكل منهم .

ان المتمعن قراءة هاتين المسرحيتين ، المستبطن دخائلها يطالعه شيء

لا بد ان يستوقفه برهة يخلد اثناءها الى التأمل والمراجعة. ذلك ان ابطالها لا يجرون في الكشف عما في نفوسهم على سنة الوضوح التام والمنطق المنظم والمألوف المتعارف عليه في التحليل النفسي ، الذي جرى عليه الكتّاب الاتباعيون والرومانسيون والواقعيون.

اجل ان ابطال (تيمور) في مسرحيتيه يغمضون او يلغزون احياناً وقد يغلقون الاغلاق كله ، وهم يعطون قولًا ما يعارضونه فعلًا وهم يثبون وثبات نفسية لا تستقيم مع المنطق الظاهر المألوف فيتراءون وكأن كل واحد منهم قد رُكّب فيه شخصان او أكثر.

لماذا أحجم (مؤنس بك) – وذلك في مسرحية « ابو شوشة » – عن معاودة اتصاله « بحسنية هانم » معشوقته السابقة – وقد سنحت له الفرصة التي اخطأته فيما مضى – وقد وجد كل منهما في قلبه الميل نحو صاحبه؟ ما الذي يحجزه عن احياء الماضي الجميل ؟.

وكيف تأتى ان « فضل‌الله باشا » – وذلك في رواية « الموكب » – يقول بشيء ثم يفعل غيره ، وينهي عن أمر ويأتي مثله ؟ وما حقيقة هذا المقنع الذي يخفى مسراه في نفس هذين الرجلين ، ويظهر اثره سافرا في فعالهما ؟ وهل حق ان الانسان قد يبدو احياناً وكأنما تسكن نفسه شخصيتان متناقضتان ؟!

ان تفسير هذا كله وارجاع كل لمعة باطنة ، ورجفة لا شعورية الى معينها الاصيل الكامن المحتوي في اعماق الواعية الباطنة ثم ربط هذه اللمعات والرجفات بالظاهر من اقوالهما وهما في ضوء العقل الظاهر وفي دائرة المنطق المنظم ، تفسير هذا كله على طرافته، قد يحدو بنا الى كتابة فصل طويل في علم النفس ، لعله من آخر ما قرر مبادئه العلماء النفسيون وفي مقدمتهم (سيجموند فرويد) وهي مبادىء تستند الى نظريات من صميم الفلسفة الحديثة ، التي فرضت طابعها على احدث المؤلفات الغربية في القصة والمسرحية.

ان كتابة هذا امر يضيق به هذا المكان ، ولذا نكتفي منه بتسجيل صميمه وزبدته ، وهي ان كياننا النفسي الكامل يتألف من العقل الظاهر « الوعي » ومن العقل الباطن « اللاوعي » واننا في تصرفاتنا خاضعون الى التيارات الخفية التي لاتنطلق في واعيتنا الباطنة، وان عقلنا الظاهر لايستطيع ان يفسر اللوامع الخاطفة التي تنفلت من هذه الواعية الباطنة ، ولهذا نقع في هذا التناقض والتعقيد حتى نبدو وكأنما تعيش فينا شخصيتان تتناقضان احياناً.

وما اظن انه يصعب على القارىء المتمعن هاتين المسرحيتين ، ان يجد تفسيرا لتلك (العقد النفسية) التي تتمثل واضحة ملموسة في شخصيتي « مؤنس بك » و« فضل‌الله باشا » ، اذا حاول ان يرد كل تعقيد نفسي فيهما الى حقيقته اللانهائية، ولم يؤخذ باعراض العقل الظاهر أكثر من ان يرى فيه دلالة ظاهرة لاشياء مضمرة ، اذا تغلغل منحدرا الى اعماق النفس ومتاهاتها ، حيث تنحوى الغرائز مكبوتة مغلولة وحيث تصطخب التيارات الخفية التي تتراءى على سطح الروح الذي قد يحتفظ بهدوء ظاهر.

وها نحن اولاء نشترك مع القارىء في تفسير هذه العقد النفسية. لنبدأ بالرواية الاولى « ابو شوشة »:

« ابو شوشة » اسم لعجل مدلل يرعاه (مؤنس بك) بطل الرواية. ومن العجب ان يكون عنواناً لمسرحية ، اسم عجل يخور ولا يند لسانه بكلام ، ولا نرى له وجهاً على المسرح ! يد ان المتفقه قراءة المسرحية ، لا يلبث ان يصل الى ما توخاه المؤلف من هذا العنوان ، بعد ان يتضح له ان « ابا شوشة » هذا ، ليس الا رمزا للحاضر الجاثم بكيانه ، القاهر بظروفه وشواغله. « الحاضر » في هذه المسرحية هو العنصر الاول فيها. يخور « ابو شوشة » فنرى مؤنس ينتفض في مكانه ويتناقض.

ما الذي يعتري « مؤنس » مع « حسنية هانم » فتراه وقد لبسته – الفينة بعد الفينة ، والموقف واحد لم يتبدل زمانه ومكانه – نزعات متناقضات فاذا هو ينقض فعلًا ما ابرمه كلاماً، ويتطوح بين قوتين عنيفتين تشده كل منهما من ذراع لتجتذبه احداهما في النهاية.

ألا يرى القارىء ان هذا الرجل يحاول عبثاً ارجاع الماضي وبعثه بجذكيات الذكرى وبحطام نفسه ، وبشخص المرأة التي كانت شريكة له فيه وهي « حسنية هانم » وان الحاضر يأبى عليه ذلك ، وألا يسير على شرعته الازلية: ان ما فات مات ، وان لا رجعة الى ما اغرقه الزمن في لجته.

نعم هو هذا ولا مراء. ان الذي يلبس مؤنس ويدفعه بقوة خفية الى هذا التناقض انما هو سيطرة الحاضر الذي اقام لنفسه في الواعية الباطنة سلطاناً يدفع به مزاحمة الماضي اذا قدر له ان يستفيق من همدته ، ويتهيأ للانسراح من انكماشه. وللماضي بدوره في الواعية الباطنة، منازل ينطوي فيها على نفسه ولكنه يقنع من السلطان بأن يكون معين الصراع بين المادة والمحافظة ، وان يكون الشرفة التي نطل منها على المستقبل.

لا سبيل الى احياء الماضي: تلك هي المسألة التي اثارها « تيمور » في مسرحيته هذه ، وليس تفضيل سكنى الريف على المدن ، كما يبدو للسذج من القراء ولاصحاب الجهالتين . الماضي لا يعود ومرد هذا ان النظرة الى الاشياء تتغير بتغير الميول ، والميول تبدل من اثوابها بمرور الزمن، الزمن الذي يبلي كل شيء ويسير دائماً الى الامام دون ان ينظر الى الوراء ، الزمن الذي يستبد فينا بحاضره ، ويدفعنا بشواغله والتزاماته الى ان نحيا فيه . فكأن النظرة الى الاشياء مقضي عليها بالتغير ، ومتى تغيرت النظرة ، تغيرت معها معالم الدنيا من انسان وجماد .

لقد نال الزمن من نفس (مؤنس) وهو لا يدري . وبالسخرية الحاضر من الماضي !!

والان الى الرواية الثانية (الموكب) :

هل كان (فضل‌الله باشا) صادقاً في عزمه على البقاء في المنزل ؟ واذا كان كذلك فلماذا بارح المنزل، واين ذهبت مأثورات اقواله في الاكتفاء بالسماع من المذياع ؟ .

نعم كان الباشا صادقاً في عزمه ، وكان قانعاً بما يسمع من وصف المذيع للموكب موثرا الراحة في جلبابه وعباءته ، لان نفسه كانت لا تختلج بلاعج يثير ما كمن فيها من اماني . وكان كذلك مخلصاً في دعوة افراد اسرته الى البقاء في المنزل واحتجازهم حوله ، لا خوفاً عليهم من اخطار الطريق ، وتطاول النظرات العابثة كما يقول ، ولكن استجابة لانانيته التي تدفعه الي ان يحرم على اسرته الاستمتاع بما يعجز عن مشاركتهم فيه .

والباشا مريض ، ولكنه مرض لا يمنعه من الخروج اذا اراد فاذا لم يرد قفز المرض الى الصف الاول من المعاذير ! . . . وقد كان الامر كذلك في اول الرواية . ثم كانت النهاية رفعاً للستار عن هذا العذر المنحول . . .

ولقد رأينا الباشا يصمد لاغراء اقوال المذيع في بهجة الموكب وروعته . ولكن حدث ان هاج (الشيخ كروان) في نفسه امنية

اقتعاده كرسياً في مجلس الشيوخ ، وحرك بين جوانحه نزعة الظهور والتماس اسباب العظمة . وجاءت هتافات « جمعية الشبان » ودعوتهم اياه لمشاهدة الموكب في دارهم معينة على بعث تلك النزعة الكامنة وإلهاب شعلتها في دخيلته . فلما انكشفت له حيلة افراد اسرته التي مكنتهم من الخروج لمشاهدة الموكب ، لم يجد لرغبته المستورة محبساً ولذلك لم يلبث ان انطلق من جلبابه وعباءته ، تصطلح عليه كل تلك المؤثرات ، ويستجيب لاغراء المذيع بمشاهدة موكب الامير العظيم فاذا هو يرتدي حلة التشريفة ، التي نالت منها الايام وجعلتها غير صالحة للظهور بها في حفل كهذا الحفل ، واذا هو ناشط يحث الى الطريق خطاه !

حقاً ان الانسان لكائن متغير كصفحة الماء ، لا يقيم على حال ، وله في كل حال آراء ومنطق ومذاهب بفعل المؤثرات التي تطلق من أعماق النفس تيارات تسيطر عليه وتوجهه كما يريد . . .

حقاً ان شخصية « فضل‌الله باشا » هذه ، تقدم لنا صورة من التفاقل والضعف اللذين لقحت بهما انسانيتنا ، واللذين يبدوان حتى في أتفه الامور !

*

ويبقى ان نقول ان هاتين المسرحيتين على نفاستهما وطرافة موضوعيهما قد لا يكتب لهما مطالعة انوار المسرح في هـذا الزمن ، لانهما من طراز رفيع غير مألوف لدى القائمين على شؤون المسرح في مصر . ومن تسامى ادراكه منهم ولمس نفاسة الجوهر فيهما اقعدته ظروف قـاهرة عن شرف تقديمها الى الجمهور . ولا غرو في هذا اذ انهما من طراز حديث هو آخر ما انتهى اليه كتاب المسرحية الغربية وروادها في هذا العصر .

فشأن هاتين المسرحيتين شأن الكثير من نفائس الروايات الغربية التي سبق مؤلفوهـا الزمن بتفكيرهم ، فلم ينصفهم زمنهم ، ولكنهم لم يعدموا النصفة بعد ذلك .

زكي طليمات

المدير الفني للفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى بالقاهرة

مواعيد

مجموعة شعرية للاستاذ صلاح لبكي — ٧٤ صفحة — مطبعة الكشاف بيروت

ليس في نيتي ان اقدم للقارىء بحثاً في فلسفة الشعر ، وبين يديه شعر يغنيه عن البحث وعن الفلسفة . ولكنني اشير في ما أكتب الى ان لهذا الشعر مكانه من نشاط النفس البشرية . فالاسبـاب التي حالت من قبل دون هذا الطموح قد زالت كلها او كادت تزول . وبتنـا ننعم اليوم بثقافة اعمق واشمل ، وحياة اغنى ، ومواهب من بركات السماء . وآن لنا ان نطل على اولي الفكر الاصيل زملاء في الجهاد لا تلاميذ .

والشعر ككل خلق انساني ، يكون بعد اكتمال الانسانية في النفس الموهوبة . لان تلك العمارة ، عمارة الحضارة ، التي ما برحت همّ الانسان منذ كان الانسان ، يبنيها من الملهمين اولئك الذين رافقت نفوسهم مراحل الانسانية كلها ، ثم تلخصت من خلالهم امماً وعصورا ، فاصبحوا ان تألموا فشعب يتألم ، او تاقوا فجيل يتوق .

امـا العمارة فواحدة ، تداو وتكتمل ، وهي واحدة على اختلاف العصور والبقاع ، وعلى تعدد اساليب التعبير بين شعر وتصوير وموسيقى وعلم وفلسفة وتصرف ، كل ما كان من ذلك في صلب الحقيقة فهو حجر من تلك العمارة . امـا طابع الموهبة ، واختلاف العصر والاقليم ، وتغير النوع التعبيري ، فقد تؤثر في رونق الحجر او قياسه او موضعه ، ولكنها لا تخرج به عن كونه حجرا ، وحجرا في تلك العمارة نفسها .

نسمع عن مدارس في الشعر بين واقعية ورمزية وتأثرية ، وعن مذاهب في الفلسفة ينقض بعضها البعض ، ونسمع عن عصر للادب يختلف عن عصر ، وعن بيئة للفكر تبتعد عن بيئة ، ونصبر على الزمان ، فاذا صحيح كل ذلك يتلخص في ثروة انسانية واحدة ، نعرفها بالكلاسيكية عادة ، او عمارة الحضارة كما سميتها هنا ، فيها لكل فن جناح ولكل فكر زاوية ، لكل عصر مدماك ولكل عبقري حجر . اما التصميم فواحد ، خلقته عبقرية الانسان ويبنيه عمر التاريخ الذي لا يحد حتى بأعمار العباقرة .

وما أكثر الحجارة التي رمتهـا الاجيال بعيدة عن تلك العمارة لان حاملها لم يستطع بلوغ المدماك الاخير ، او لانها اتت من خارج التصميم . فليس يزيد في العمارة بناء لا سلم عنده وان حمل حجرا ، وكذلك من بلغ رأس السلم ولا حجارة جديدة بين يديه .

الثقافة والموهبة ، كلتاهما ضرورية في بناء الحضارة .

اما سلم شاعرنا فمتزن الدرجات راسخها ، ثقافة كأغنى ما تكون الثقافات ، اخذها من حيث التقت كلها ، من احضان باريس : فكر اليونان وروح المشرق ، علم اوروبا وفنون الارض .

واما حجارته فقوامها :

حياة تبلغ من فهم الاعماق ما يجعل عندهـا للقلب منطقاً وللفكر احساساً ،

ونفس واعية مسؤولة ، تعرف اين هي من نفسها ومن بلادهـا ، من الانسانية ومن الله ،

وقوة للخلق تنفلت بالجدّة الى ابعد مـا تنفلت النفس دون ان تنقطع عن الحقيقة ، وتتغلغل في قلب الحقيقة دون ان يمسها ابتذال الواقع ، مغمورة كل لفظة منها بإحساس الحب والجمال والخير ، وبألف احساس حلو ما عمّده الناس باسم بعد .

تقرأ ، فكأنك مع صلاح . فهنيئاً لنا وللعمارة بنّاء سلمه من خشب الأبنوس ، وحجارته مرمر ورخام .

رشدي معلوف

العالم في سنة

انطوى العام ١٩٤٣ على حوادث عسكرية وسياسية فاقت في اهميتها ومداها حوادث ١٩٤٢ . وقد كان اقطاب الامم المتحـدة على حق في تسميتهم السنة المنصرمة « سنة الهجوم » فقد شمل نشاطهم الهجومي خلالها الميدانين العسكري والسياسي ، ونحن نسجل هنـا الوقائع حسب تاريخ حدوثها ، بادئين بأبرز الاحداث العسكرية .

الجبهة الروسية

١٥ كانون الثاني ١٩٤٣ – رفع الجيش الاحمر الحصار عن مدينة ستالينغراد بعـد نضال استمر زهاء ستة اشهر واسر الروس الجيش الالماني السادس واربعة وعشرين قائدا في رأسهم المارشال فون باولوس . وكان انتصار الجيش الاحمر في مدينة ستالين الحلقة الاولى في سلسلة انتصارات رائعة .

٤ تموز – بدأ المارشـال فون كلوغه هجومه على بيلغورود وكورسك .

٥ آب – احتل الجيش الاحمر اوريل وبيلغورود مسجلا انتصاره الاول في حملة الصيف .

٢٣ منه – حرر الروس مدينة خركوف بعد معارك طاحنة .

٦ تشرين الثاني – حرر جيش الجنرال فاتوتين مدينة كييف واصدر ستالين امرا يوميـاً يعلن فيه ان القوات السوفياتية استردت ثلثي المنطقة المحتلة .

١٩ منه – جلا الالمان عن مدينـة غوميل ، وشرع المارشال فون مانشتين في هجومه المضاد غربي كييف .

١٢ كانون الاول – حرر الروس مدينـة تشركاسي وبدأوا هجوماً عاماً داخل منحنى الدنيابر .

جبهة حوض المتوسط

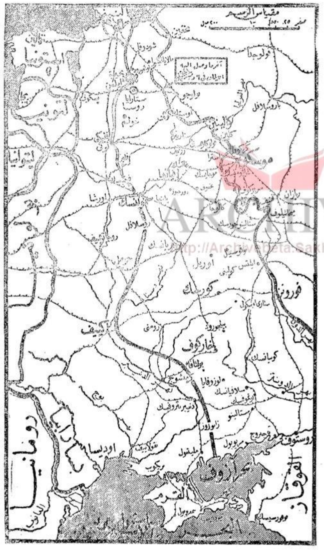
١٨ كانون الثاني - دخلت قوات الجيش البريطـاني الثامن مدينة طرابلس الغرب وعجل في سقوط المدينة الهامة نجاح حركة لف بارعة قامت بها ميسرة الجنرال مونتغمري فانسحب الايطاليون والالمان من المدينة خشية التطويق .

١١ – نيسان – اخترق الجيش الثـامن خط ماريت جنوبي تونس ، ومثل الطيران البريطاني دور المدفعية في هذه العملية الناجحة فدمرت قنابله الثقيلة الاستحكامات الالمانية .

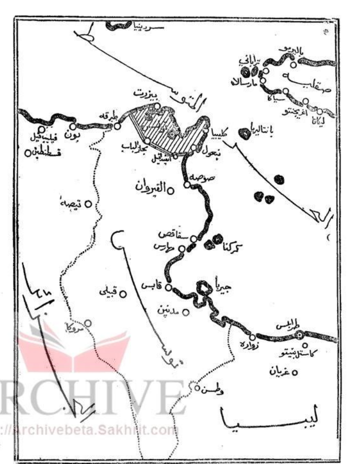
٧ ايار – استولى الحلفاء على مدينتي بيزرت وتونس وانسحبت القوات المحورية الى شبه جزيرة « بون »

١١ ايار – انتهت الحملة المتحالفة في تونس ، واربى عدد الاسرى المحوريين على مئة وخمسين الف رجل .

٩ حزيران – شن الطيران المتحالف اغارة عنيفة على جزيرة بانتيلاريا تمهيدا لغزوها .



خريطة تبين مواقع القتال في الجبهة الروسية



الجزء الذي دارت فيه المعارك من شمال افريقيا

١١ منه – استسلمت حامية بانتيلاريا بعد ان عزلت عن صقليه .

١٠ تموز – نزلت القوات المتحالفة في جزيرة صقلية واستخدمت القيادة في هذه العملية نحوا من ثلاثة آلاف سفينة . ونقلل بضعة آلاف رجل في الطائرات الشراعية فسهلوا مهمة الحملة باحتلالهم المطارات وبتخريبهم مواصلات العدو .

١٨ منه – شنت القاذفات الاميركية أولى الاغارات المتحالفة على روما ، فكان لهذه الاغارة تأثيرها في معنويات الشعب الايطالي وفي شد ازر العناصر المعارضة للفاشستية .

٥ آب – احتل الحلفاء قطانيا في صقلية

١٧ منه – اتم الحلفاء احتلال صقلية وانسحب المحوريون الى كالابريا عبر مضيق مسينا .

٣ ايلول – نزلت طلائع الجيش الثامن في كالابريا ودعم الاسطول المتحالف هذه العملية . وفي الوقت نفسه دخلت وحدات بحرية خليج ترنتو وانزلت قوات على اليابسة .

٩ ايلول – نزل الجيش الاميركي الخامس في قطاع ساليرنو ، بقيادة الجنرال كلارك .

٣٠ ايلول – ربح الحلفاء معركة ساليرنو وارتدت قوات المارشال كايسرلنغ شمالاً بغرب محاولة تغطية نابولي .

اول تشرين الاول – جلا الالمان عن نابولي بعد ان خربوا مرافقها وقد استقبل السكان القوات المتحالفة بمظاهر الفرح .

١٢ كانون الاول – عبر الجيش البريطاني الثامن نهر مورو واتجه شطر طريق بسكرا روما .

جبهة الشرق الاقصى

اول تموز – شرع الجنرال ماكارثر بهاجم القواعد اليابانية في جنوب الباسفيك الغربي ، مستهدفاً اقصاء الخطر عن مداخل اوستراليا .

٥ آب – احتلت قوات ماك آرثر قاعدة موندا في غينيا الجديدة .

١٦ كانون الاول – نزلت قوات اميركية واوسترالية في جزيرة بريطانيا الجديدة مستهدفة احتلال قاعدة جازماتا .

١٧ كانون الاول – نشط الجيش البريطاني المرابط على حدود بورما الشمالية الغربية .

الغارات الجوية في اوربا

١٦ ايار – شنّ الطيران المتحالف اولى غاراته التدميرية الواسعة على الاهداف الصناعية في المانيا ، فهاجم خزانات الرور ، وتسبب عن هذه الاغارة غرق مساحات كبيرة من الاراضي وتعطيل نشاط الخزانات الكهربائية لبضعة اشهر .

اول آب – قامت قاذفات اميركية من قواعدها في الشرق الاوسط بهجوم مركز على منطقة آبار البترول في بلوستي (رومانيا) .

النشاط السياسي

٤ كانون الثاني سنة ١٩٤٣ – عقد الحلفاء مؤتمراً في الدار البيضاء (مراكش) واستمر المؤتمر منعقدا عشرة ايام . وقد رسم الرئيسان روزفلت وتشرشل ومستشاروهما العسكريون خطط الهجوم على ايطاليا . ومن مقررات الدار البيضاء الهامة اشتراك وحدة من الجيش الفرنسي في الهجوم على صقليه عندما تدق ساعة الهجوم . وقد دعا المؤتمر دول المحور الى الاستسلام



الجنرال مونتغومري

بدون قيد ولا شرط .

٢ شباط – وصل المستر تشرشل الى اطنه على متن طائرة من طراز « ليبراتور » وكان يرافقه مستشارون مدنيون وعسكريون بيد ان هؤلاء دخلوا الارض التركية باللباس المدني احتراماً لحياد البلاد . ووصل الى اطنه في قطار خاص السيد عصمت اينونو ورئيس الحكومة التركية وممثلون لهيئة اركان الحرب . فعقد الفريقان مؤتمرا في القطار الذي اقل الوفد التركي واختتمت المباحثات ببلاغ آكد وحدة الآراء وقوة الصداقة التركية البريطانية .

٢٦ نيسان – انقطعت العلاقات الدبلوماسية بين الاتحاد السوفياتي والحكومة البولونية في لندن ، وكان الباعث على انقطاعها مطالبة الحكومة البولونية بتكليف الصليب الاحمر الدولي التحقيق في مصير عدد من الاسرى البولونيين كان الروس قد اخذوهم في العام ١٩٣٩ ولم يعرف ما حل بهم مذ ذاك .

١١ ايار – وصل المستر تشرشل الى واشنطن لمباحثة الرئيس روزفلت . وقد قرر الرئيسان زيادة الانتاج الحربي والتعجيل في القضاء على المقاومة الايطالية ، ومد روسيا السوفياتية بما تحتاج اليه .

١٥ ايار – حل « الكومنترن » او الشيوعية الدولية نفسه . فأقام الاتحاد السوفياتي بهذا العمل البرهان الكافي على براءته مما تنسبه اليه الدعاية المحورية من سعي الى بلشفة اوروبا تمهيدا لفرض السيطرة الروسية عليها .

٣ تموز – خطا الفرنسيون المقاتلون الخطوة الاولى نحو توحيد الكلمة فألفوا لجنة التحرير الوطني واسندت الرئاسة الى الجنرالين ده غول وجيرو .

٢٠ تموز – اجتمع هتلر وموسوليني لدرس الموقف بعد ان تراخت المقاومة المحورية في صقليه . فطلب موسوليني تعزيز الجبهة المحورية بفرق المانية جديدة فرفض هتلر الطلب وطلب الدوتشي اسلحة معينة يفتقر اليها الجيش الايطالي فابدى هتلر استعداده لتقديم الاسلحة المطلوبة مقابل وضع القوى الايطالية المساحة تحت امرة قائد الماني . وقد افترق الدكتاتوران على خلاف .

٢٤ تموز – عقد المجلس الفاشستي الاعلى جلسة فوق العادة برئاسة موسوليني . وكان فريق من اقطاب الحزب قد اتفقوا على نزع الثقة من الرئيس ، وتزعم هذه الحركة الكونت غراندي والمارشال دي بونو . واستطاع المعارضون ان يؤلبوا ضد الدوتشي اكثرية المجلس الساحقة فشجع هذا الموقف الملك عمانوئيل على عزل رئيس حكومته .

٢٥ تموز – اعتقل موسوليني وهو خارج من القصر الملكي وتولى المارشال بادوليو رئاسة الحكومة .

٢٧ تموز – حلّت حكومة بادوليو الحزب الفاشستي .

١٢ آب – انعقد مؤتمر كيبك (كندا) واستمر حتى الرابع والعشرين من آب . وقد قرر الحلفاء في هذا المؤتمر عقد هدنة مع حكومة المارشال بادوليو

الجنرال ايزنهاور

والاعتراف باللجنة الفرنسية لتحرير الوطن .

٢٧ تموز – اعترف الانكليز والاميركيون باللجنة الفرنسيه اعترافاً مشروطاً .

٢٨ تموز – اعترفت روسيا السوفياتية باللجنة الفرنسية اعترافاً مطلقاً وعدتها الممثلة الوحيدة لاماني الشعب الفرنسي ولمصالحه .

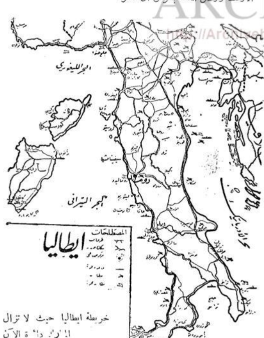
٣ ايلول – عقدت الهدنة بين الحلفاء وحكومه المارشال بادوليو ووقع على الصك في احدى مدن صقليه ولكن الفريقين كتما الحادث الهام .

كوردل هل
وزير خارجية الولايات المتحدة

٨ ايلول – اذيع خبر الهدنة الايطالية . وكان قد مضى على نزول الحلفاء في كالابريا خمسة ايام . وبعد ايام معدودة ردّ الالمان على عمل بادوليو بإنقاذ موسوليني الذي بادر الى اقامة حكومة فاشستية جمهورية في المناطق التي يحتلها الالمان .

٢٦ ايلول – ألف الحلفاء لجنة للنظر في المسائل الايطالية ، قوامها السادة : فيشنسكي عن الاتحاد السوفياتي ، مورفي عن الولايات المتحدة ، ماسيغلي عن اللجنة الفرنسية ، ماك ميلان عن بريطانيا العظمى .

٢٨ ايلول – انتقلت الحكومة اليوغوسلافية من لندن الى الشرق الاوسط ووصل الملك بطرس الى مصر .



خريطة ايطاليا حيث لا تزال المعارك دائرة الآن

١٢ تشرين الاول – وقعت الحكومتان البريطانية والبورتغالية على اتفاقية نالت بريطانيا العظمى بموجبها قواعد جوية وبحرية في ارخبيل آزور البورتغالي. وكان منتظرا ان يثير هذا الحدث ردّ فعل في المانيا ولكن حكومة برلين اكتفت باحتجاج بسيط وابلغت الحكومة البورتغالية انها تقدر الظروف التي لابست عملها حق التقدير.

وقد تعهدت الحكومة البريطانية للحكومة البورتغالية باجلاء قواتها عن الارخبيل حالما تضع الحرب اوزارها. والمفهوم ان الانكليز رموا من الحصول على قواعد في آزور الى تعزيز التدابير الدفاعية المتخذة ضد الغواصات الالمانيه.

١٣ تشرين الاول – اعلنت حكومة المارشال بادوليو الحرب على المانيـا.

١٩ تشرين الاول – عقد الروس والانكليز والاميركيون موءتمراً في موسكو عرف باسم الموءتمر الثلاثي. وحضره من الجانب الانكلوسكسوني السيدان هول سكرتير الدولة للشوءون الخارجية في الحكومة الاميركية وانطوني ايدن وزير الخارجية البريطانية وعدد كبير من الخبراء العسكريين والسياسيين. وقـد ختم الموءتمر اعماله ببلاغ واربعة تصريحات هامة اوضح الاول نظر الدول الثلاث في المسألة الاوربية، واكد الثاني عزم الحلفاء والصين على مواصلة القتال حتى النصر، ووعد الثالث بتحرير النمسا، ونص الرابع على ضرورة تعاون الامم المتحدة بعد الحرب وعلى تأليف لجنة اوروبية.

٥ تشرين الثاني – اجتمع المستر ايدن بوزير الخارجية التركية في القاهرة واطلعه على نتائج موءتمر موسكو.

١١ تشرين الثاني – اعتقلت السلطات الفرنسية في بيروت رئيس الجمهورية اللبنانية واركان الحكومة.

٢١ تشرين الثاني – اطلق سراح رئيس الجمهورية اللبنانية وحكومته وعادت المياه الى مجاريها في لبنان.

٢٢ تشرين الثاني – عقد تشرشل وروزفلت والمارشال شك موءتمراً في القاهرة وقرروا مواصلة الحرب ضد اليابان واتفقوا على تجريدها من فتوحاتها جميعاً.

اول كانون الاول – عقد ستالين وروزفلت وتشرشل موءتمراً في طهران واتفقوا على الاسراع بسحق المانيـا ووضعوا اسس التعاون بين الدول الثلاث وسائر الامم المحبة للحرية في الحرب وبعدها، واعترف الموءتمرون في بيان خاص بالخدمات التي اسدتها ايران لقضية الحلفاء وتعهدوا باحترام استقلالها وسيادتها ووعدوا بمساعدتها اقتصاديا.

٥ كانون الاول – عقد روزفلت وتشرشل وعصمت اينونو موءتمرا في القاهرة ووضعوا اسساً لتعاون واسع بين تركيا والامم المتحدة بما فيها روسيا.

١٤ كانون الاول – عقدت روسيـا والحكومة التشكية معاهدة تحالف وصداقة مدتها خمس وعشرون سنة. وصرح السيد بنيش رئيس الجمهورية التشكوسلوفاكية ان الحلف موجه ضد المانيا.



تمثل الصورة التي الى جانب هذا الكلام، الاقطاب الثلاثة (من اليسار) ستالين، روزفلت، تشرشل، بعد الموءتمر في طهران في اول كانون الاول الماضي. وكذلك يظهر في الصورة بعض الواقفين من اليسار الرفيق مولوتوف مفوض الشوءون الخارجية في الاتحاد السوفياتي، ثم كريمة الرئيس تشرشل ثم السيد ايدن وزير الخارجية البريطانية.